# مَا اجْتَمَعَ فِيْهِ التَّمْيِيْزُ والْحَالُ
# ومَا افْتَرَقَا فِيْهِ
# دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ

د. خَطَّاب عُمَر بَكْر
أُسْتَاذُ النَّحْوِ والصَّرْفِ الْمُشَارِكُ

**مَا يَجْمَعُهُمَا:**

**ذَكَرْنَا فِي بَحْثِنَا المَوْسُوْمِ بـ(( قَالُوْا فِي الْحَالِ، دِرَاسَةٌ نَقْدِيَّةٌ ))[١] أَنَّ النَّحْوِيِّيْنَ أَلْزَمُوْا تَنْكِيْرَ الْحَالِ لِشَبَهِهَا بالتَّمْيِيْزِ فِي بَعْضِ الأَوْجُهِ، ولَمَّا لَمْ يَكُنِ التَّمْيِيْزُ إلاَّ نَكِرَةً قَالُوْا كَذَا الْحَالُ يَجِبُ ألاّ تَكُوْنَ إلاّ نَكِرَةً، ومَا جَاءَ مِنْهَا مَعْرِفَةً تَأَوَّلُوْا تَنْكِيْرَهَا، وقَدْ ذَكَرْنَا ثَمّ . بِإِيْجَازٍ . بَعْضَ مَا قَالُوْا فِي ذَا عَلَى أَنْ نُفَصِّلَ الْكَلامَ فِيْهِ هَهُنَا، إذْ أنّ كَلامَنَا هَهُنَا مَخْصُوْصٌ بِمَا اجْتَمَعَا فِيْهِ ومَا افْتَرَقَا فِيْهِ.**

**قَالُوْا: إنّ الشَّبَهَ بَيْنَهُمَا فِي كَوْنِ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا: فَضْلَةً، مَنْصُوْبَاً، نَكِرَةً، مُبَيِّناً للإِبْهَامِ[٢]، ونَقُوْلُ: إنَّ الفَضْلَةَ – كَمَا هُوَ مَعْرُوْفٌ – مَا يَصِحُّ الاسْتِغْنَاءُ عَنْهُ فِي الْكَلامِ، ولَكِنْ مِنَ الْحَالِ مَا لا يَصِحُّ الاسْتِغْنَاءُ عَنْهُ فِي الْكَلامِ كَمَا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَإِذَا قَامُوْا إِلَى الصّلاةِ قَامُوْا كُسَالَى)[٣] ، فـ (كُسَالَى) حَالٌ مِنْ ضَمِيْرِ وَاوِ الْجَمْعِ، لَوْ أُسْقِطَتْ لَمْ يَسْتَقِمْ مَعْنَى الآيَةِ، وكَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى(وَلا يَأْتُوْنَ الصّلاةَ إلاّ وَهُمْ كُسَالَى وَلا يُنْفِقُوْنَ إلاّ وَهُمْ كَارِهُوْنَ)[٤] فـ (وَهُمْ كُسَالَى، وَهُمْ كَارِهُوْنَ) حَالانِ مِنْ ضَمِيْرِ وَاوِ الْجَمَاعَةِ وَلا يَسْتَقِيْمُ الْمَعْنَى بِسُقُوْطِهِمَا، وكَذَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى(وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا لاعِبِيْنَ)[٥] ، و(مَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ والأَرْضَ ومَا بَيْنَهُمَا لاعِبِيْنَ)[٦] ،فـ (لاعِبِيْنَ) حَالٌ لا يُمْكِنُ حَذْفُهَا لِتَوَقُّفِ الْمَعْنَى عَلَيْهَا، وكَذَا(مَرَحَاً) مِنْ قَوْلِهِ جَلَّ شَأْنُهُ(وَلا تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحَاً)[٧] ، حَالٌ لا يَتِمُّ الْكَلامُ إلاّ بِهَا، وكَذَا (أَنْتُمْ سُكَارَى)مِنْ قَوْلِهِ عَزَّ وجَلّ(يَا أَيُّهَا الَّذِيْنَ آمَنُوْا لا تَقْرَبُوْا الصَّلاةَ وأَنتُمْ سُكَارَى)[٨] ، حَالٌ مِنْ ضَمِيْرِ وَاوِ الْجَمَاعَةِ ولا يَجُوْزُ حَذْفُهَا لِتَوَقُّفِ الْمَعْنَى عَلَيْهَا، وكَذَا (كَئِيْبَاً) فِي قَوْلِ عَدِيّ بْنِ رَعْلاءِ الغَسَّانِيّ:**

إنّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيْشُ كَئِيْباً كَاسِفَاً بَالُهُ قَلِيْلَ الرَّجَاءِ

حَالٌ مِنْ الضّمِيْرِ الْمُسْتَتَرِ فِي (يَعِيْشُ) لَوْ أُسْقِطَتْ لَمْ يَكُنْ كَلاماً، بَلْ لا يَتِمُّ الْكَلامُ إلاّ بِهَا، والدَّلِيْلُ أنَّكَ إذَا قُلْتَ: إنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيْشُ، لَكَانَ فَاسِداً، وكَذَا فِي كُلِّ مَوْضِعٍ سَدَّتْ مَسَدَّ الْخَبَرِ نَحْوُ(ضَرْبِيَ الْعَبْدَ مُسِيْئَاً)، فَالْحَالُ هَهُنَا(مُسِيْئَاً) لا يَجُوْزُ حَذْفُهَا لِسَدِّهَا مَسَدَّ الْخَبَرِ.

اعْتَرَضَ بَعْضُ المُتَأَخِّرِيْنَ عَلَى اشْتِرَاطِ النَّحْوِيّيْنَ كَوْنَ الْحَالِ فَضْلَةً[٩]، لأنّ الْفَضْلَةَ إنّمَا تَجِيءُ بَعْدَ تَمَامِ الْكَلامِ ويُسْتَغْنَى عَنْهَا، والْحَالُ قَدْ لا يَتِمُّ الْكَلامُ إلاّ بِهَا فَلا يُسْتَغْنَى – حِيْنَئِذٍ – عَنْهَا، ورُدَّ اعْتِرَاضُهُمْ بأنّ الْمُرَادَ بالْفَضْلَةِ مَا لَمْ يَكُنْ أحَدَ جُزْأَيِ الْكَلامِ وإنْ تَوَقّفَتْ صِحَّةُ الْمَعْنَى عَلَيْهِ،[١٠]وهَذَا الرّدُّ لَيْسَ بِشَيْءٍ، لأنّ الغَرَضَ مِنَ الْكَلامِ حُصُوْلُ الْفَائِدَةِ، فَإذَا لَمْ تَحْصُلِ الْفَائِدَةُ لَمْ يَكُنْ كَلاماً وإنْ وُجِدَ رُكْنَاهُ، أعْنِي الْمُسْنَدَ والْمُسْنَدَ إلَيْهِ، فَمَا تَوَقّفَتْ صِحّةُ الْمَعْنَى عَلَيْهِ عُدَّ جُزْءَاً مِنْ أَحَدِ الرُّكْنَيْنِ، والْحَالُ فِي تِلْكَ الأمْثِلَةِ الْمَذْكُوْرَةِ وغَيْرِهَا لا يَتِمُّ الْكَلامُ إلاّ بِهَا، فَهِيَ إذَنْ جُزْءٌ مِنْ أَحَدِ الرُّكْنَيْنِ أوْ مُتَمِّمٌ لَهُ، هَذَا فَضْلاً عَنْ أنَّ الْحَالَ قَدْ تَجِيءُ مِنَ الْمُبْتَدَأ – كَمَا هُوَ مَذْهَبُ سِيْبَوَيْهِ، ووَافَقَهُ السِّيْرَافِيُّ، وصَحَّحَهُ ابْنُ مَالِكٍ[١١] – وَهُوَ أحَدُ رُكْنَيِ الإسْنَادِ.

ورَدَّهُ آخَرُوْنَ بأنَّ الْمُرَادَ بِهَا مَا لَمْ يَكُنْ أحَدَ رُكْنَيِ الإسْنَادِ، ولَيْسَ الْمُرَادُ بِهَا مَا يَسْتَغْنِي الْكَلامُ عَنْهَا[١٢]، وهَذَا أيْضَاً لَيْسَ بِشَيْءٍ، إذْ يُرَدُّ بِمَا رَدَدْنَا بِهِ الأوَّلَ. ورَدَّهُ آخَرُوْنَ بأنَّ هَذَا ونَحْوَهُ عَارِضٌ، والْعَارِضُ غَيْرُ مُعْتَدٍّ بِهِ[١٣]، ولَسْتُ أدْرِي كَيْفَ يَكُوْنُ عَارِضَاً مَعَ كَثْرَةِ هَذِهِ الأمْثِلَةِ والشَّوَاهِدِ ووُفْرَتِهَا، وأيْضَاً أنّ ذِكْرَ الْحَالِ فِيْهَا لازِمٌ وحَذْفَهَا مُمْتَنِعٌ أوْ مُفْضٍ إلَى تَغَيُّرِ الْمَعْنَى وخُلْفِهِ. مَهْمَا قِيْلَ يَبْقَى الاعْتِرَاضُ عَلَى اشْتِرَاطِ الفَضْلِيّةِ قَائِمَاً، واللهُ أعْلَمُ.

وعَلَى فَرْضِ التّسْلِيْمِ بِصِحَّةِ فَضْلِيّةِ الْحَالِ فَلا تَصِحُّ – عِنْدِي – فَضْلِيّةُ التّمْيِيْزِ البَتَّةَ لِعَدَمِ اسْتِغْنَاءِ الْكَلامِ عَنْهُ حَيْثُ وُجِدَ، إذْ لا مَعْنَى لِقَوْلِنَا:(عِنْدِي عِشْرُوْنَ) فَلا يُدْرَى مِنْ أيّ جِنْسٍ (عِشْرُوْنَ)، ومِثْلُهُ:(اشْتَرَيْتُ صَاعَيْنِ أوْ مَنَوَيْنِ)، وكَذَا:(يَا لَهُ) فَلا يُدْرَى مِنْ أيّ وَجْهٍ كَانَ تَعَجُّبُكَ مِنْهُ، ومِثْلُهُ: (وَيْحَهُ) و (للهِ دَرُّهُ)، وكَذَا تَمْيِيْزُ النِّسْبَةِ فِي نَحْوِ (طَابَ زَيْدٌ نَفْسَاً)،إذْ لا مَعْنَى لِكَلامِنَا لَوْ أسْقَطْنَا(نَفْسَاً)، لأنَّ الفِعْلَ(طَابَ)للنَّفْسِ عَلَى الْحَقِيْقَةِ ولَيْسَ لِزَيْدٍ فِيْهِ شَيْءٌ، إذِ الأصْلُ:طَابَتْ نَفْسُ زَيْدٍ، وكَذَا (امْتَلأ الإنَاءُ مَاءً)، فَلَوْ أسْقَطْنَا(مَاءً) وقُلْنَا(امْتَلأ الإنَاءُ)، لاحْتَمَلَ امْتِلاءُ الإنَاءِ بِكُلِّ مَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ الأوَانِي، ومِنْ ثَمّ لَمْ يَكُنْ كَلاماً، ولَمْ أرَ مَنْ تَعَرَّضَ لِذَا اللّهُمّ إلاّ مَا أوْرَدَهُ يَاسِيْنُ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى شَرْحِ الْفَاكِهِيّ لِقَطْرِ النَّدَى، قَالَ: (( قَالَ الشُّمَّنِيُّ: ولِقَائِلٍ أنْ يَقُوْلَ: إنّ التَّمْيِيْزَ قَدْ يَتَوَقَّفُ مَعْنَى الْكَلامِ عَلَيْهِ نَحْوُ (مَا طَابَ زَيْدٌ إلاّ نَفْسَاً). ))[١٤] ، وكَمَا رَأيْتَ أنّ الْكَلامَ يَتَوَقَّفُ عَلَيْهِ فِي كُلِّ مَوْضِعٍ ولَيْسَ حَصْرَاً عَلَى مَا كَانَ مَحْصُوْرَاً مِنْهُ كَمَا أوْرَدَهُ

يَاسِيْنُ، فَالْكَلامُ بِدُوْنِ التَّمْيِيْزِ مُبْهَمٌ يَحْوْجُ إلَى مَا يُوَضِّحُهُ، وهَذَا الْمُوَضِّحُ لابُدَّ مِنْهُ لِيَتِمَّ الْكَلامُ، ولا أرَاهُ يَتِمُّ إلاّ بِهِ، واللهُ أعْلَمُ.

وأمّا كَوْنُهُمَا مُلازِمَيْنِ للنَّصْبِ فَفِيْهِ أيْضاً نَظَرٌ، إذْ أنَّ جَرَّ التّمْيِيْزِ بالإضَافَةِ أو بـ(مِنْ) يَكَادُ يَكُوْنُ أكْثَرَ مِنْ نَصْبِهِ نَاهِيْكَ عَنْ جَوَازِ الإتْبَاعِ فِيْهِ، والْحَالُ لا تَكُوْنُ إلاّ مَنْصُوْبَةً، فَأيْنَ ذَا الشّبَهُ الَّذِي يَزْعُمُوْنَ؟.

وثَالِثُ أوْجُهِ الشَّبَهِ كَوْنُهُمَا نَكِرَتَيْنِ، ونَقُوْلُ فِي ذَا الْبَابِ: اشْتَرَطَ الْجُمْهُوْرُ تَنْكِيْرَ الْحَالِ فَقَالُوْا لا تَكُوْنُ إلاّ نَكِرَةً ((لأنّهَا فِي الْمَعْنَى خَبَرٌ ثَانٍ، ألا تَرَى أنّ قَوْلَكَ: (جَاءَ زَيْدٌ رَاكِباً) قَدْ تَضَمَّنَ الإخْبَارَ بِمَجِيْءِ زَيْدٍ ورُكُوْبِهِ فِي حَالِ مَجِيْئِهِ، وأصْلُ الْخَبَرِ أنْ يَكُوْنَ نَكِرَةً لأنّهَا مُسْتَفَادَةٌ، وأيْضاً فَإنّهَا تُشْبِهُ التّمْيِيْزَ فِي الْبَابِ، فَكَانَتْ نَكِرَةً مِثْلَهُ، وأنّهَا تَقَعُ فِي جَوَابِ كَيْفَ، وكَيْفَ سُؤَالٌ عَنْ نَكِرَةٍ.))[١٥] ويَقُوْلُ الرَّضِيُّ: ((إنّمَا كَانَ شَرْطُهَا أنْ تَكُوْنَ نَكِرَةً، لأنّ النَّكِرَةَ أصْلٌ، والْمَقْصُوْدُ بالْحَالِ تَقْيِيْدُ الْحَدَثِ الْمَذْكُوْرِ فَقَطْ، ولا مَعْنَى للتّعْرِيْفِ هُنَاكَ، فَلَوْ عُرِّفَتْ وَقَعَ التّعْرِيْفُ ضَائِعاً.))[١٦] ويُرَدِّدُ شَارِحُ أَلْفِيَةِ ابْنِ مُعْطٍ مَا قَالَهُ ابْنُ يَعِيشَ فَيَقُوْلُ: ((لأنّهَا نَوْعٌ مِنَ الْخَبَرِ، وأصْلُهُ أنْ يَكُوْنَ نَكِرَةً، ولأنّهَا جَوَابٌ لـ(كَيْفَ)، وَهِيَ سُؤَالٌ عَنْ حَالٍ نَكِرَةٍ، أوْ لِئَلاّ تَلْتَبِسَ بالصِّفَةِ فِي بَعْضِ الصُّوَرِ.))[١٧] ، ويُعَلِّلُ الْمُرَادِيُّ وخَالِدٌ الأزْهَرِيُّ والْخُضَرِيُّ إلْزَامَ تَنْكِيْرِهَا بألاّ يُتَوَهَّمَ كَوْنُهَا نَعْتَاً.[١٨]

فَقَدِ اشْتَرَطَ الْجُمْهُوْرُ – كَمَا تَرَى – تَنْكِيْرَ الْحَالِ قِيَاسَاً عَلَى الْخَبَرِ والنَّعْتِ والتَّمْيِيْزِ لِمَا بَيْنَهَا وبَيْنَ ذِي الثَّلاثَةِ مِنْ شَبَهٍ فَقَالُوْا:إنّ مَا وَرَدَ مِنْهَا مُعَرَّفَاً لَفْظَاً فَهُوَ مُنَكَّرٌ مَعْنًى[١٩]، والْمُعَرَّفُ إمّا مُعَرَّفٌ بالألِفِ واللامِ وإمَّا بالإضَافَةِ، فَمِنَ الأوّلِ قَوْلُ لَبِيْدٍ:

فَأَرْسَلَهَا الْعِرَاكَ ولَمْ يَذُدْهَا ولَمْ يُشْفِقْ عَلَى نَغَصِ الدِّخَالِ

أيْ:أرْسَلَهَا مُعْتَرِكَةً،أيْ:مُزْدَحِمَةً، وقَوْلُهُم: (اُدْخُلُوْا الأوّلَ فَالأوّلَ)،أيْ: مُرَتّبِيْنَ، و(جَاءُوْا الْجَمّاءَ الْغَفِيْرَ)، أيْ: جَمِيْعَاً.

ومِنَ الثَّانِي قَوْلُهُمْ: (جَلَسَ زَيْدٌ وَحْدَهُ)، أيْ: مُنْفَرِدَاً، و(رَجَعَ عَوْدَهُ عَلَى بَدْئِهِ)، أيْ: رَجَعَ عَائِدَاً،و( فَعَلَ ذَلِكَ جَهْدَهُ وطَاقَتَهُ )، أيْ: مُجْتَهِدَاً ومُطِيْقَاً، و(جَاءُوْا قَضَّهُمْ بِقَضِيْضِهِمْ )، أيْ:جَمِيْعَاً، و( تَفَرَّقُوْا أيْدِي سَبَأٍ )، أيْ: تَفَرّقُوْا مُتَبَدِّدِيْنَ تَبَدُّدَاً لا بَقَاءَ مَعَهُ، و( كَلَّمْتُهُ فَاهُ إلَى فِيَّ)، أيْ: مُشَافَهَةً.

ومِنْ هَذَا الْقَبِيْلِ قَوْلُ أَهْلِ الْحِجَازِ: (جَاءُوْا ثَلاثَتَهُمْ) و(جَاءَتِ النِّسَاءُ ثَلاثَتُهُنّ)، إلى (عَشْرَتِهِمْ وعَشْرَهُنّ)، فَالنَّصْبُ عِنْدَ الْحِجَازِيّيْنَ عَلَى الْحَالِ بِتَقْدِيْرِ(جَمِيْعاً)، والتّمِيْمِيُّوْنَ يَتْبَعُوْنَهُ مَا قَبْلَهُ تَوْكِيْداً عَلَى تَقْدِيْرِ:(جَمِيْعُهُمْ وجَمِيْعُهُنَّ).(٢٠)

نَقُوْلُ فِي حُجّةِ بَعْضِهِمْ فِي إلْزَامِ تَنْكِيْرِهَا بِكَوْنِهَا خَبَراً فِي الْمَعْنَى: إنّ الْحَالَ مَعْنَاهَا غَيْرُ مَعْنَى الْخَبَرِ، فَقَوْلُنَا(زَيْدٌ فِي الدَّارِ نَائِمٌ) لا يُفِيْدُ أنّ زَيْداً نَائِمٌ الآنَ فِي الدَّارِ لا غَيْرُ، وإنّمَا يَحْتَمِلُ أنّهُ نَائِمٌ الآنَ، كَمَا يَحْتَمِلُ أنّهُ غَيْرُ نَائِمٍ، بَلْ قَدْ يَحْتَمِلُ أنْ لا يَكُوْنَ مَوْجُوْداً فِي الدَّارِ، أمّا (زَيْدٌ فِي الدَّارِ نَائِمَاً) فَمَعْنَاهُ أنّهُ نَائِمٌ الآنَ فِي الدَّارِ ولا يَحْتمِلُ مَعْنَى آخَرَ، أيْ: وَقْتُ الإخْبَارِ عَنْهُ كَانَ نَائِمَاً.

ونَقُوْلُ: (هَذَا أخُوْكَ الْقَارِئُ الْقَصِيْدَةَ) أو(هَذَا أخُوْكَ قَارِئٌ الْقَصِيْدَةَ)، فَقَدْ أخْبَرْنَا عَنْ (أخُوْكَ) أنّ مُهِمَّتَهُ أوْ عَمَلَهُ قِرَاءَةُ القَصَائِدِ سَوَاءٌ قَبْلَ الإشَارَةِ إلَيْهِ أوْ بَعْدَهَا، أمّا وَقْتُ الإشَارَةِ إلَيْهِ فَلا يُشْتَرَطُ أنّهُ كَانَ يَقْرَأُ، رُبَّمَا كَانَ يَقْرَأُ، ورُبَّمَا لا، أمَّا إذَا قُلْنَا: ( هَذَا أخُوْكَ قَارِئَاً الْقَصِيْدَةَ ) فَيُشْتَرَطُ أنّه يَقْرَأُ الآنَ، فَوَقْتُ الإشَارَةِ إلَيْهِ هُوَ يَقْرَأُ، إذْ هُوَ بِمَعْنَى: هَذَا أخُوْكَ يَقْرَأُ الْقَصِيْدَةَ، وقَدْ تَكُوْنُ قِرَاءَةُ الْقَصَائِدِ مُهِمَّتَهُ أوْ عَمَلَهُ، وقَدْ لا تَكُوْنُ.

كَمَا تَرَى أنّ الْحَالَ مَعْنَاهَا غَيْرُ مَعْنَى الْخَبَرِ، وعَلَى فَرْضِ التّسْلِيمِ بِكَوْنِ مَعْنَاهَا مَعْنَى الْخَبَرِ فَالْخَبَرُ لا يُلْزَمُ تَنْكِيْرُهُ، إذْ قَدْ يَكُوْنُ نَكِرَةً، وقَدْ يَكُوْنُ مَعْرِفَةً.

وأمّا حُجّةُ بَعْضِهِمُ الآخَرِ بِأنْ لا يُتَوَهَّمَ كَوْنُهَا نَعْتَاً فَبَاطِلٌ أيْضَاً،لأنّ مَعْنَى الْحَالِ مُغَايِرٌ لِمَعْنَى النّعْتِ، فَهُنَاكَ فَرْقٌ بَيْنَ الْحَالِ والصِّفَةِ، فَلَوْ قُلْنَا: (أقْبَلَ الطّالِبُ سَابِقَاً) و(أقْبَلَ الطّالِبُ السّابِقُ) كَانَ الفَرْقُ بَيْنَهُمَا أنّ (السّابِق) فِي الثّانِي نَعْتٌ للطّالِبِ، ولا يُشْتَرَطُ أنْ يَكُوْنَ الطّالِبُ فِي مَجَالِ المُسَابَقَةِ أوِ السِّبَاقِ وَقْتَ إقْبَالِهِ، أمّا (سَابِقَاً) فِي الْقَوْلِ الأوّلِ فَهُوَ حَالٌ مِنَ الطّالِبِ، ومَعْنَاهُ: أقْبَلَ الطّالِبُ يُسَابِقُ، فَيُشْتَرَطُ أنْ يَكُوْنَ الطّالِبُ فِي مَجَالِ السِّبَاقِ، أيْ: عِنْدَ إقْبَالِهِ هُوَ سَابِقٌ.

وإذَا قُلْنَا: (أقْبَلَ الطّالِبُ مُقَصِّراً)، فَالْحَدَثُ هَهُنَا قَدِ اقْتَرَنَ بالتَّقْصِيْرِ، إذْ هُوَ فِي إقْبَالِهِ هَذَا مُقَصِّرٌ، أمّا إذَا قُلْنَا: (أقْبَلَ الطّالِبُ المُقَصِّرُ)، فَالطّالِبُ هَهُنَا صِفَتُهُ التَّقْصِيْرُ، إذْ هُوَ مَعْرُوْفٌ بالتَّقْصِيْرِ، وقَدْ يَكُوْنُ تَقْصِيْرُهُ فِي هَذَا الإقْبَالِ أوْ قَبْلَهُ، ولَكِنْ لا يُشْتَرَطُ أنْ يَكُوْنَ مُقَصِّراً وَقْتَ إقْبَالِهِ، فَقَدْ يَكُوْنُ مُقَصِّراً، وقَدْ لا يَكُوْنُ، أمّا فِي الأوّلِ فَيُشْتَرَطُ أنْ يَكُوْنَ مُقَصِّراً وَقْتَ إقْبالِهِ.

ونَقُوْلُ: (أقْبَلَ الطَّالِبُ مُهْمِلاً)، فَالطَّالِبُ قَدْ يَكُوْنُ جَيِّداً ولَكِنَّ وَقْتَ إقْبَالِهِ حَسْبُ كَانَ مُهْمِلاً، أمَّا (أقْبَلَ الطَّالِبُ الْمُهْمِلُ)، فَالطَّالِبُ صِفَتُهُ الإهْمَالُ، ولا يُشْتَرَطُ اقْتِرَانُ الْحَدَثِ بالْوَصْفِ، فَقَدْ يُقْتَرَنُ بِهِ وقَدْ لا يُقْتَرَنُ، أمَّا فِي الأوّلِ فَيُشْتَرَطُ اقْتِرَانُ الْحَدَثِ بالْحَالِ.

يَقُوْلُ الْمُبَرِّدُ: ((فَإذَا قُلْتَ: (جَاءَنِي زَيْدٌ مَاشِياً) لَمْ يَكُنْ نَعْتاً، لأنّكَ لَوْ قُلْتَ: (جَاءَنِي زَيْدٌ الْمَاشِي) لَكَانَ مَعْنَاهُ: الْمَعْرُوْفُ بالْمَشْيِ، وكَانَ جَارِياً عَلَى زَيْدٍ، لأنّهُ تَحْلِيَةٌ لَهُ، وتَبْيِيْنٌ بأنّ زَيْداً الْمَعْرُوْفَ بِهَذِهِ السِّمَةِ لِيُفْصَلَ مِمَّنْ اسْمُهُ مِثْلَ اسْمِهِ بِهَذَا الْوَصْفِ، فَإذَا قُلْتَ: (جَاءَنِي زَيْدٌ مَاشِياً) لَمْ تُرِدْ أنَّهُ يُعْرَفُ بأنّهُ مَاشٍ، ولَكِنْ خَبَّرْتَ بأنَّ مَجِيْئَهُ وَقَعَ فِي هَذِهِ الْحَالِ، ولَمْ يَدْلُلْ كَلامُكَ عَلَى مَا هُوَ فِيْهِ قَبْلَ هَذِهِ الْحَالَةِ أوْ بَعْدَهَا.))[٢١] ، فَالْحَالُ تُبَيِّنُ هَيْئَةَ صَاحِبِها وَقْتَ وُقُوْعِ الْحَدَثِ لا غَيْرُ، أمّا الصِّفَةُ فَتَدُلُّ عَلَى سَمْتِ مَوْصُوْفِهَا قَبْلَ وُقُوْعِ الْحَدَثِ وبَعْدَهَا، أمّا وَقْتُ وُقُوْعِ الْحَدَثِ فَقَدْ تَدُلُّ عَلَيْهِ وقَدْ لا تَدُلُّ.

ونَقُوْلُ: (مَا جَاءَ طَالِبٌ مُهْمِلٌ) و (مَا جَاءَ طَالِبٌ مُهْمِلاً)، فَقَدْ نَفَيْنَا فِي الْقَوْلِ الأوّلِ الْمَجِيءَ عَنْ طَالِبٍ صِفَتُهُ الإهْمَالُ، فَهُوَ مَعْرُوْفٌ عِنْدَنَا بالإهْمَالِ، ولا يُشْتَرَطُ أنْ يَكُوْنَ مُهْمِلاً وَقْتَ الْكَلامِ، وأمّا فِي الثَّانِي فَقَدْ نَفَيْنَا الْمَجِيءَ عَنْ طَالِبٍ وَقَعَ الإهْمَالُ مِنْهُ وَقْتَ الْكَلامِ، أمّا قَبْلَ الْكَلامِ أوْ بَعْدَهُ فَلا يُشْتَرَطُ أنْ يَكُوْنَ مُهْمِلاً.

فَالْحَالُ غَيْرُ الصِّفَةِ فِي جَمِيْعِ الأحْوَالِ، سَوَاءٌ أكَانَتْ فِي حَالَةِ النَّكِرَةِ أمْ فِي حَالَةِ الْمَعْرِفَةِ، وسَوَاءٌ أكَانَ الْكَلامُ مُثْبَتاً أمْ مَنْفِيّاً، لأنّ ((الصِّفَةَ لِبَيَانِ هَيْئَةِ الذَّاتِ مُطْلَقاً، والْحَالُ لِبَيَانِ هَيْئَةٍ مُقَيَّدَةٍ.))[٢٢] ، قَالَ سِيْبَوَيْهِ فِي بَابِ (إجْرَاءُ الصِّفَةِ فِيْهِ عَلَى الاسْمِ فِي بَعْضِ الْمَوَاضِعِ أحْسَنُ، وقَدْ يَسْتَوِي فِيْهِ إجْرَاءُ الصِّفَةِ عَلَى الاسْمِ، وأنْ تَجْعَلَهُ خَبَراً فَتَنْصِبَهُ): ((فَأمَّا مَا اسْتَوَيَا فِيْهِ فَقَوْلُهُ : (مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَائِدٍ بِهِ) إنْ جَعَلْتَهُ وَصْفاً، وإنْ لَمْ تَحْمِلْهُ عَلَى الرَّجُلِ وحَمَلْتَهُ عَلَى الاسْمِ الْمُضْمَرِ الْمَعْرُوْفِ نَصَبْتَهُ فَقُلْتَ:(مَرَرْتُ بِرَجُلٍ مَعَهُ صَقْرٌ صَائِدَاً بِهِ)[٢٣] ، حِيْنَ لَمْ يُرِدْ أنْ يَحْمِلَهُ عَلَى الأوّلِ[٢٤]،. . . ومِثْلُهُ فِي أنّ الوَصْفَ أحْسَنُ (هَذَا رَجُلٌ عَاقِلٌ لَبِيْبٌ) لَمْ يَجْعَلِ الآخَرَ حَالاً وَقَعَ فِيْهِ الأوّلُ[٢٥]، ولَكِنَّهُ أثْنَى عَلَيْهِ وجَعَلَهُمَا شَرْعاً سَوَاءً ، وسَوَّى بَيْنَهُمَا فِي الإجْرَاءِ عَلَى الاسْمِ، والنَّصْبُ فِيْهِ جَائِزٌ عَلَى مَا ذَكَرْتُ لَكَ، وإنّمَا ضَعُفَ لأنّهُ لَمْ يُرِدْ أنّ الأوّلَ وَقَعَ وَهُوَ فِي هَذِهِ الْحَالِ، ولَكِنَّهُ أرَادَ أنّهُمَا فِيْهِ ثَابِتَانِ، ولَمْ يَكُنْ وَاحِدٌ مِنْهُمَا قَبْلَ صَاحِبِهِ.))[٢٦]

واعْلَمْ أنّ الفَرْقَ بَيْنَ الْحَالِ والصِّفَةِ مِنْ عَشْرَةِ أوْجُه[٢٧]

أَحَـدُهَا: أَنَّ الصِّـفَةَ لازِمَـةٌ لِلْمَوْصُـوْفِ، والْحَـالُ غَيْـرُ لازِمَـةٍ، ولِـذَلِكَ إِذَا قُلْتَ:جَـاءَ زَيْـدٌ الضَّاحِكُ، كَانَتِ الصِّفَةُ ثَابِتَةً لَهُ قَبْلَ مَجِيْئِهِ، وإِذَا قُلْتَ:جَاءَ زَيْدٌ ضَاحِكاً، كَانَتْ صِفَةُ الضَّحِكِ لَـهُ فِي حَالِ مَجِيْئِهِ فَحَسْبُ.

الثَّانِي: أَنَّ الصِّفَةَ لا تَكُوْنُ لِمَوْصُوْفَيْنِ مُخْتَلِفَي الإِعْرَابِ[٢٨]، بِخِلافِ الْحَالِ فَإِنَّهَا قَدْ تَكُوْنُ مِنَ الْفَاعِلِ والْمَفْعُوْلِ.

الثَّالِثُ: أَنَّ الصِّفَةَ تَتْبَعُ الْمَوْصُوْفَ فِي إِعْرَابِهِ بِخِلافِ الْحَالِ.

الرَّابِعُ: أَنَّ الْحَالَ تُلازِمُ التَّنْكِيْرَ، والصِّفَةُ عَلَى وَفْقِ مَوْصُوْفِهَا.

الْخَـامِسُ: أَنّ الْحَـالَ تَتَقَـدَّمُ عَلَـى صَـاحِبِهَا وعَلَـى عَامِلِهَـا القَـوِيِّ عِنْـدَ الْبَصْـرِيِّيْنَ، بِخِـلافِ الصِّفَةِ فَإِنَّهَا لا تَتَقَدَّمُ عَلَى مَوْصُوْفِهَا.

السَّادِسُ: أَنّ الْحَالَ تَكُوْنُ مَعَ الْمُضْمَرِ، بِخِلافِ الصِّفَةِ.

السَّابِعُ: أَنّ الْحَالَ لَيْسَ فِي عَامِلِهَا خِلافٌ، وفِي عَامِلِ الصِّفَةِ خِلافٌ.

الثَّامِنُ: أَنّ الْحَالَ يُغْنِي عَنْ عَائِدِهَا الْوَاوُ بِخِلافِ الصِّفَةِ.

التَّاسِعُ: أَنّ الصِّفَةَ أَدْخَلُ مِنَ الْحَالِ فِي بَابِ الاشْتِقَاقِ.

الْعَاشِرُ: أَنّ الصِّفَاتِ الْمُتَعَدِّدَةَ لِمَوْصُوْفٍ وَاحِدٍ جَائِزَةٌ، وفِي الأَحْوَالِ الْمُتَعَدِّدَةِ كَلامٌ.

وثَمَّ فَرْقٌ آخَرُ بَيْنَهُمَا، ذَلِكَ أَنَّ الصِّفَةَ يَعْمَلُ فِيْهَا عَامِلُ الْمَوْصُوْفِ، وكَذَلِكَ الْحَالُ يَعْمَلُ فِيْهَا الْعَامِلُ فِي صَاحِبِهَا، إلاّ أَنّ عَمَلَـهُ فِـي الْحَالِ عَلَـى سَبِيْلِ الفَضْلِيَّةِ، لأَنّهَا جَارِيَـةٌ مَجْرَى الْمَفْعُوْلِ، وعَمَلُهُ فِي الصِّفَةِ عَلَى سَبِيْلِ الْحَاجَةِ إِلَيْهَا إِذَا كَانَتْ مُبَيِّنَـةً لِلْمَوْصُوْفِ، فَجَرَتْ مَجْرَى حَرْفِ التَّعْرِيْفِ.[٢٩] وقَالَ الآبِذِيُّ فِي شَرْحِ الْجَزُوْلِيَّةِ: ((التَّمْيِيْزُ مُشْبِهٌ للنَّعْتِ، فَلَمْ يَتَقَدَّمْ [يُرِيْدُ عَلَى عَامِلِهِ] وإِنّمَا تَقَدَّمَتِ الْحَالُ، لأَنّهَا خَبَرٌ فِي الْمَعْنَى، ولِتَقْدِيْرِهَا بـ (فِي) فَأُشْبِهَتِ الظَّرْفَ، وأَيْضاً فَالْحَالُ لِبَيَانِ الْهَيْئَةِ لا لِبَيَانِ الذَّاتِ فَفَارَقَتِ النَّعْتَ.))[٣٠]

وأَيْضاً أَنَّهُ قَدْ يَجُوْزُ أَنْ يَقَعَ شَيْءٌ حَالاً لا يَجُوْزُ أَنْ يَقَـعَ صِفَةً، إِذْ يَحْسُنُ أَنْ يُقَالَ: (هَذَا مَالُـكَ دِرْهَمـاً) و(هَـذَا خَاتَمُـكَ حَدِيْـداً)، ولا يَحْسُـنُ أَنْ يَقَـعَ الـدِّرْهَمُ والْحَدِيْـدُ صِـفةً، إِذْ لا يُوْصَـفُ بِالْجَوْهَرِ.[٣١]

كَمَا تَرَى أَنّ مَعْنَى الْحَالِ مُغَايِرٌ لِمَعْنَى النَّعْتِ، وأَيْضاً أَنّ النَّعْتَ لا يُلْزَمُ تَنْكِيْرُهُ فَلِمَ يُلْزِمُوْنَ الْحَـالَ التَّنْكِيْرَ ؟ ثُـمّ أَنّ هَـذَا التَّـوَهُّمَ مَـدْفُوْعٌ بِـاخْتِلافِ الْحَرَكَـةِ فِـي مِثْـلِ (جَـاءَ زَيْـدٌ الضَّـاحِكَ) و (مَـرَرْتُ بِزَيْـدٍ الضَّـاحِكِ)، وأَمَّـا عِنْـدَ تَوَحُّـدِ الْحَرَكَـةِ فِـي مِثْـلِ (رَأَيْتُ زَيْـداً الضَّـاحِكَ) فَيُـدْفَعُ التَّـوَهُّمُ

بالْمَعْنَى الْمُرَادِ الْمُعَيّنِ لِوَاحِدٍ مِنَ الْحَالَيْنِ، إِذِ الْمَعْنَى سَابِقٌ عَلَى التَّرْكِيْبِ، والْجُمْلَةُ لَيْسَتْ وَحْدَةً قَائِمَةً بِنَفْسِهَا، بَلْ لَهَا تَعَلُّقٌ بِمَا قَبْلَهَا ومَا بَعْدَهَا، فَالسِّيَاقُ يُعَيّنُ وَاحِداً مِنَ الْحَالَيْنِ.

وأَمَّا حُجّتُهُمْ فِي وُجُوْبِ تَنْكِيْرِهَا قِيَاسَاً عَلَى وُجُوْبِ تَنْكِيْرِ التَّمْيِيْزِ لِمَا بَيْنَهُمَا مِنْ شَبَهٍ فَنَقُوْلُ: اشْتَرَطَ جُمْهُوْرُ الْبَصْرِيّيْنَ والْكِسَائِيُّ شَيْخُ الْكُوْفِيّيْنَ، أَنْ يَكُوْنَ التَّمْيِيْزُ نَكِرَةً ((لأَنّهُ وَاحِدٌ فِي مَعْنَى الْجَمْعِ، ألا تَرَاكَ إِذَا قُلْتَ: (عِنْدِي عِشْرُوْنَ دِرْهَماً)، مَعْنَاهُ: عِشْرُوْنَ مِنَ الدَّرَاهِمِ، فَقَدْ دَخَلَهُ بِهَذَا الْمَعْنَى الاشْتِرَاكُ، فَهُوَ نَكِرَةٌ، ووَجْهٌ ثَانٍ أَنّ التَّمْيِيْزَ يُشْبِهُ الْحَالَ، وذَلِكَ أَنَّ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يُذْكَرُ لِلْبَيانِ ورَفْعِ الإِبْهَامِ، ألا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ: (عِنْدِي عِشْرُوْنَ) احْتَمَلَ أَنْوَاعَاً مِنَ الْمَعْدُوْدَاتِ، فَإِذَا قُلْتَ: (دِرْهَماً) أَوْ (دِيْنَاراً) فَقَدْ أَزَلْتَ ذَلِكَ الإِبْهَامَ، واتّضَحَ بِذِكْرِهِ مَا كَانَ مُتَرَدَّداً مُبْهَماً، كَمَا أَنّكَ إِذَا قُلْتَ: (جَاءَ زَيْدٌ) احْتَمَلَ أَنْ يَكُوْنَ عَلَى صِفَاتٍ، فَلَمَّا قُلْتَ: (رَاكِباً) فَقَدْ أَوْضَحْتَ وأَزَلْتَ ذَلِكَ الإِبْهَامَ، فَلَمَّا اسْتَوَيَا فِي الإِيْضَاحِ والْبَيَانِ اسْتَوَيَا فِي لَفْظِ التَّنْكِيْرِ، ووَجْهٌ ثَالِثٌ: أَنَّ الْمُرَادَ مَا بَيَّنَ النَّوْعَ فَبُيّنَ بِالنَّكِرَةِ، لأَنّهَا أَخَفُّ الأَسْمَاءِ كَمَا تُخْتَارُ الْفَتْحَةُ إِذَا أُرِيْدَ تَحْرِيْكُ حَرْفٍ لِمَعْنًى، لأَنّ الْفَتْحَةَ أَخَفُّ الْحَرَكَاتِ إِلاّ أَنْ يَعْرِضَ مَا يُوْجِبُ العُدُوْلَ عَنْهَا إِلَى غَيْرِهَا))[٣٢] ، وأَيْضَاً أَنّ الْمَقْصُوْدَ مِنْهُ رَفْعُ الإِبْهَامِ، وَهُوَ حَاصِلٌ بِالنَّكِرَةِ، وَهِيَ أَصْلٌ، فَلَوْ عُرِّفَتْ لَوَقَعَ التَّعْرِيْفُ ضَائِعَاً[٣٣].

خَالَفَهُمُ الْكُوْفِيُّوْنَ وابْنُ الطَّرَاوَةِ فَأَجَازُوْا تَعْرِيْفَهُ مُسْتَدِلّيْنَ بِقَوْلِ رَاشِدِ بْنِ شِهَابٍ الْيَشْكُرِيّ:

رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ وُجُوْهَنَا صَدَدْتَ وَطِبْتَ النَّفْسَ عَنْ عَمْرٍو

وَبِقَوْلِ الشَّاعِرِ:

عَلامَ مُلِئْتَ الرُّعْبَ والْحَرْبُ لَمْ تَقِدْ لَظَاهَا ولَمْ تُسْتَعْمَلِ الْبِيْضُ والسُّمْرُ

وَبِقَوْلِ أُمَيَّةَ بْنِ أَبِي الصَّلْتِ:

لَهُ دَاعٍ بِمَكَّةَ مُشْمَعِلٌّ وَآخَرُ فَوْقَ رَابِيَةٍ يُنَادِي

إِلَى رَدْحٍ مِنَ الشِّيْزَى مَلاء لُبَابَ البُرِّ يُلْبَكُ بِالشَّهَادِ

وَبِقَوْلِ زُهَيْرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى:

أَهْوَى لَهَا أَسْفَعُ الْخَدَّيْنِ مُطْرِقٌ رِيْشَ الْقَوَادِمِ لَمْ يُنْصَبْ لَهَا شَرَكُ

وَبِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ (إِنَّ امْرَأَةً كَانَتْ تَهْرَاقُ الدِّمَاءَ)، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَى (ومَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيْمَ إِلاّ مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ)[٣٤] ، وَبِقَوْلِ الْعَرَبِ (كَمْ نَاقَةً لَكَ وفَصِيْلَهَا) و (سَفِهَ نَفْسَهَ) و (غَبِنَ رأيَهُ) و (بَطِرَ عَيْشَهُ) و (وأَلِمَ بَطْنَهُ) و (وَفِقَ أَمْرَهُ) و (رَشِدَ أَمْرَهُ) و (بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا)،

وبِقَوْلِهِمْ فِي الْعَدَدِ الْمُرَكَّبِ (أَحَدَ عَشَرَ مِنَ الدَّرَاهِمِ)، وفِي الْعُقُوْدِ (عِشْرُوْنَ مِنَ الدَّرَاهِمِ) و (مَا فَعَلَتِ الْخَمْسَةَ عَشَرَ مِنَ الدَّرَاهِمِ) و (مَا فَعَلَتِ الْعِشْرُوْنَ الدِّرْهَمَ).

تَأَوَّلَ الْبَصْرِيُّوْنَ (النَّفْسَ) مِنْ قَوْلِ الْيَشْكُرِيِّ، و(الرُّعْبَ) مِنْ قَوْلِ الشَّاعِرِ، و(الدِّمَاءَ) مِنَ الْحَدِيْثِ عَلَى زِيَادَةِ الأَلِفِ واللامِ كَمَا زِيْدَتْ شُذُوْذاً[٣٥] فِي قَوْلِهِ:

بَاعَدَ أُمَّ العَمْرِو مِنْ أَسِيْرِهَا حُرَّاسُ أَبْوَابٍ عَلَى قُصُوْرِهَا

وَأَمَّا الْمُضَافَاتُ فَقَدْ تَأَوَّلُوْا نَصْبَهَا عَلَى التَّشْبِيْهِ بِالْمَفْعُوْلِ بِهِ، أَوْ عَلَى إِسْقَاطِ الْجَارِّ، أَيْ: فِي لُبَابِ البُرِّ، وفِي رِيْشِ الْقَوَادِمِ، وسَفِهَ فِي نَفْسِهِ، وغبِنَ فِي رَأْيِهِ[٣٦]، أَوْ عَلَى جَعْلِ (سَفِهَ) بِمَعْنَى (جَهِلَ) فَيَكُوْنُ (نَفْسَهُ) مَفْعُوْلاً بِهِ[٣٧]، وَأَوَّلُوْا (فَصِيْلَهَا) بِالنَّكِرَةِ عَلَى تَقْدِيْرِ: وفَصِيْلاً لَهَا[٣٨]، وقِيْلَ: إنَّ الأَصْلَ فِي (سَفِهَ نفْسَهُ) وأَخَوَاتِهِ: غَبِنَ، وأَلِمَ، وبَطِرَ: سَفِهَتْ نَفْسُ زَيْدٍ، وغَبِنَ رَأْيُ زَيْدٍ، فَلَمَّا حُوِّلَ الْفِعْلُ عَنْ النَّفْسِ والرَّأْيِ وأُسْنِدَ إِلَى زَيْدٍ انْتَصَبَ مَا بَعْدَهُ بِوُقُوْعِ الْفِعْلِ عَلَيْهِ، لأَنَّهُ صَارَ فِي مَعْنَى (سَفَّهَ، وغَبَّنَ)، لِذَلِكَ جَازَ عِنْدَهُمْ . أَعْنِي جُمْهُوْرَ الْبَصْرِيِّيْنَ والْكِسَائِيَّ . تَقْدِيْمُ هَذَا الْمَنْصُوْبِ كَمَا جَازَ (غُلامَهُ ضَرَبَ زَيْدٌ)، وقَالَ الْفَرَّاءُ والْكُوْفِيُّوْنَ: لَمَّا حُوِّلَ الْفِعْلُ عَنِ النَّفْسِ مُسْنَداً إِلَى زَيْدٍ خَرَجَ مَا بَعْدَهُ مُفَسِّراً لِلدَّلالَةِ عَلَى كَوْنِ السَّفَهِ والغُبْنِ فِيْهِ، وكَانَ حُكْمُهُ أَنْ يَكُوْنَ (سَفِهَ زَيْدٌ نَفْساً)،لأَنَّ الْمُفَسِّرَ لا يَكُوْنُ إلاّ نَكِرَةً[٣٩]ولَكِنَّهُ تُرِكَ عَلَى إِضَافَتِهِ ونُصِبَ كَنَصْبِ النَّكِرَةِ تَشْبِيْهاً بِهَا، فَلا يَجُوْزُ تَقْدِيْمُهُ، لأَنّ الْمُفَسِّرَ لا يَتَقَدَّم[٤٠].

وقَالُوْا: وأَمَّا قَوْلُ الْعَرَبِ (أَحَدَ عَشَرَ مِنَ الدَّرَاهِمِ) و(عِشْرُوْنَ مِنَ الدَّرَاهِمِ) ونَحْوُ ذَلِكَ فَلَيْسَ الْمَجْرُوْرُ بـ (مِنْ) تَمْيِيْزاً اصْطِلاحاً، بِدَلِيْلِ عَدَمِ إِفْرَادِهِ، لأَنَّ تَمْيِيْزَ الْعَدَدِ الْمُرَكَّبِ والْعُقُوْدِ يَجِبُ فِيْهِ الإِفْرَادُ[٤١]، وأَمَّا (مَا فَعَلَتِ الْعِشْرُوْنَ الدِّرْهَمَ) فَهَذَا إِنَّمَا حَكَاهُ أَبُوْ زَيْدٍ الأَنْصَارِيُّ ولَمْ يَقُلْ إِنَّهَا لُغَةٌ لِلْعَرَبِ، مَعَ أَنَّهُ مُمْكِنٌ أَنْ يُقَالَ بِزِيَادَةِ الأَلِفِ واللامِ فِيْهِ.[٤٢]

هَذَا مَا تَأَوَّلَ بِهِ الْبَصْرِيُّوْنَ والْكِسَائِيُّ مَا وَقَعَ مِنَ التَّمْيِيْزِ مَعْرِفَةً، ولَعَلَّهُمْ قَدْ أَصَابُوْا فِي عَدَمِ تَجْوِيْزِهِمْ مَجِيْئَهُ مَعْرِفَةً لِعَدَمِ وُقُرَةِ الْمَسْمُوْعِ مِنْهُ، أَوْ لأَنّ وُرُوْدَهُ كَذَلِكَ لُغَةٌ لِبَعْضِ الْعَرَبِ قَلِيْلَةٌ، والصَّحِيْحُ فِي تَقْعِيْدِ الْقَاعِدَةِ بِنَاؤُهَا عَلَى الوُفْرَةِ مِنَ الشَّوَاهِدِ لا عَلَى نُدُوْرِهَا، وعَلَى لُغَةِ عَامَّةِ الْعَرَبِ لا عَلَى لُغَةِ قِلَّتِهِمْ، ولَوِ احْتَجُّوْا بِمَا قُلْتُ لأَصَابُوْا، ولَكِنَّهُمْ أَوْجَبُوْا تَنْكِيْرَهُ قِيَاساً عَلَى تَنْكِيْرِ الْحَالِ، وذَلِكَ بَاطِلٌ، لأَنَّهُمْ فِي بَابِ التَّمْيِيْزِ يَقِيْسُوْنَ عَلَى الْحَالِ، كَمَا قَاسُوْا فِي بَابِ الْحَالِ عَلَى التَّمْيِيْزِ،فَيَكُوْنُ كُلٌّ مِنْهُمَا مَقِيْساً ومَقِيْساً عَلَيْهِ فِي آنٍ مَعاً، وهَذَا بَاطِلٌ، وقِيَاسٌ فَاسِدٌ، وأَيْضاً أَنّ الْحَالَ يَجُوْزُ فِيْهَا التَّعْرِيْفُ – كَمَا نَرَى بَعْدُ –، وأَمَّا احْتِجَاجُهُمْ بِوُقُوْعِ التَّعْرِيْفِ فِيْهِ ضَائِعاً فَفِيْهِ نَظَرٌ، أَلا تَرَى أَنَّ مَعْنَى قَوْلِكَ: (مُلِيءَ الرَّجُلُ رُعْباً) – مَثَلاً – مُغَايِرٌ لِمَعْنَى

قَوْلِكَ: (مُلِيءَ الرَّجُلُ الرُّعْبَ)، فـ (رُعْباً) فِي الأوّلِ عَامٌّ يَحْتَمِلُ الْكَثِيْرَ مِنْـهُ والْقَلِيْلَ، والشَّدِيْدَ مِنْـهُ والْخَفِيْفَ، عَلَى حِيْنِ أنّ (الرُّعْبَ) لا يَحْتَمِلُ إلاّ الْكَثِيْرَ مِنْـهُ والشَّدِيْدَ، فَهُوَ بِمَنْزِلَـةِ قَوْلِنَـا: (أنْـتَ رَجُلٌ) و (أنْتَ الرَّجُلُ)، فـ (رَجُلٌ) عَامٌّ، عَلَى حِيْنِ (الرَّجُلُ) خَاصٌّ، فَكَأَنَّهُ قَالَ: أنْـتَ الرَّجُلُ الْكَامِلُ فِي الرُّجُولِيَّةِ، عَلَى حِيْنِ (أنْتَ رَجُلٌ) لا يَعْنِي هَذَا.

قُلْتُ إنّ الْبَصْرِيّيْنَ والْكِسَائِيَّ أصَابُوْا فِي عَدَمِ تَجْوِيْزِهِمْ مَجِيءِ التَّمْيِيْزِ مَعْرِفَـةً لِعَدَمِ وُقُرَةِ الْمَسْمُوْعِ مِنْـهُ، ولَكِنّي أرَى أنَّـهُ يَنْبَغِي الْوُقُوْفُ عِنْدَ مَا كَانَ مِنْ نَحْوِ (سَفِهَ نفْسَهُ) مِمَّا الْفِعْلُ فِيْـهِ عَلَى وَزْنِ (فَعِلَ) وجَاءَ التَّمْيِيْزُ بَعْدَهُ مَعْرِفَةً بِإضَافَتِهِ إلَى الضَّمِيْرِ، فَأَرَى أنَّ ذَا قِيَاسٌ فِيْمَا كَـانَ كَذَلِكَ، فَأَقُوْلُ: يَجُوْزُ . قِيَاسَاً مُطَّرَداً . بِنَـاءُ (فَعِلَ) مِنْ كُلِّ فِعْلٍ ثُلاثِيٍّ، سَوَاءٌ أكَانَ عَلَى (فَعِلَ) بالأصَالَةِ أمْ بالتَّحْوِيْلِ، للدَّلالَـةِ عَلَى التَّمْيِيْزِ، كَمَا بَنَوْا (فَعُلَ) مِنْـهُ للدَّلالَـةِ عَلَى الْمَدْحِ أوِ الذَّمِّ فَقَالُوْا: (قَضُوَ الرَّجُلُ زَيْدٌ) مَدْحَاً لِقَضَائِهِ وتَعَجُّباً مِنْـهُ، لِذَلِكَ أرَى أنْ يُسْتَثْنَى ذَا مِنَ النَّكِرَةِ فَيُقَالَ فِي حَدِّهِ: اسْمٌ نَكِرَةٌ إلاّ الْمَنْصُوْبَ الْمُضَافَ إلَى الضَّمِيْرِ الْوَاقِعَ بَعْدَ (فَعِلَ). ولَمْ أرَ أحَداً مِنَ النَّحْوِيّيْنَ قَالَ بِهِ أوْ عَرَضَ لَهُ، واللهُ أعْلَمُ.

وأمَّا تَعْرِيْفُ الْحَالِ فَانْظُرْ مَا قَالَهُ الْجُمْهُوْرُ فِي أَلِفِ ولامِ (الْعِرَاكَ) مِنْ قَوْلِ لَبِيْدٍ الْمَذْكُوْرِ، قَالُوا: إنَّهَا زَائِدَةٌ كَزِيَادَتِهَا فِي (الَّذِي) و (الَّتِي)[٤٣] ، وقَالَ سِيْبَوَيْهِ: إنّهَا زَائِدَةٌ كَمَا زِيْدَتْ فِي قَوْلِهِمْ:(مَا يَصْلَحُ بالرَّجُلِ خَيْرٍ مِنْكَ أنْ يَفْعَلَ كَذَا)، فَـالأَلِفُ والـلامُ فِي (الرَّجُلِ) زَائِدَةٌ، لأنَّ النَّكِرَةَ لا تَكُوْنُ صِفَةً لِمَعْرِفَـةٍ، وتَأْوِيْلُـهُ: مَا يَصْلَحُ بِرَجُلٍ خَيْرٍ مِنْكَ أنْ يَفْعَلَ هَذَا.[٤٤] وقَالَ ابْنُ أبِي الرَّبِيْعِ: ((إنَّ هَذَا بِمَنْزِلَةِ قَوْلِهِمْ:

* إنَّ الْحَوَادِثَ أوْدَى بِهَا *

لأنَّ الْحَوَادِثَ والحَدَثَانِ يَتَرَادَفَانِ عَلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وإذَا نَطَقُوْا بالوَاحِدِ فَكَأَنَّهُمْ نَطَقُوْا بـالآخَرِ، فَجَرَى الْكَلامُ عَلَى مَا يَصْلَحُ فِي الْمَوْضِعِ، وكَذَا قَوْلُ الشَّاعِرِ:

* أَلَمَّتْ بِنَا الْحَدَثَانِ *

لأنَّ الْحَدَثَانِ يُرَادِفُ الْحَوَادِثَ.))[٤٥]

وعَلَى فَرْضِ صِحَّةِ التَّسْلِيْمِ بِزِيَادَةِ الأَلِفِ واللامِ كَزِيَادَتِهَا فِي (الَّذِي والَّتِي)، أوْ كَزِيَادَتِهَا فِي (الرَّجُـلِ) مِـنْ قَـوْلِ الْعَرَبِ، أوْ أنَّهَـا بِمَنْزِلَـةِ (عِرَاكَ)، أوْ أنّهَـا زَائِـدَةٌ كَزِيَـادَةِ تَـاءِ التَّأْنِيْـثِ، يَبْقَـى (عِرَاكَ) مُصْطَدِماً بِقِيَاسِهِمُ الآخَرِ، وَهُوَ كَوْنُ الْحَالِ مُشْتَقَّةٌ، و (عِرَاكَ) مَصْدَرٌ، وهُمْ يَمْنَعُوْنَ وُقُوْعَهَا مَصْدَرَاً، فَأَرَى أنْ يُجِيْزُوْا تَعْرِيْفَهَا – كَمَا أجَازَهُ يُونُسُ والْبَغْدَادِيُّوْنَ[٤٦]– مُطْلَقَاً بِلا تَأْوِيْلٍ أخْذَاً بِمَا وَرَدَ عَنْ أهْلِ اللُّغَةِ، واللهُ أعْلَمُ.

نَخْلُصُ مِمّا مَرَّ أنّ الْحَالَ يَجُوْزُ تَعْرِيْفُهَا مُطْلَقاً بِلا تَأْوِيْلٍ لِوُفْرَةِ الشَّوَاهِدِ، والتَّمْيِيْزُ لا يَجُوْزُ تَعْرِيْفُهُ إلاّ فِيْمَا كَانَ مُضَافاً مِنْهُ إلَى الضَّمِيْرِ – كَمَا مَرَّ –، فَإلْزَامُهُمْ تَنْكِيْرَ التَّمْيِيْزِ قِيَاسَاً عَلَى تَنْكِيْرِ الْحَالِ فَاسِدٌ، فَيَسْقُطُ بِذَلِكَ الشَّبَهُ الَّذِي بَيْنَهُمَا فِي كَوْنِهِمَا نَكِرَتَيْنِ.

وأمَّا رَابِعُ أوْجُهِ الشَّبَهِ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ كَوْنُهُمَا رَافِعَيْنِ للإبْهَامِ، فَفِيْهِ أيْضَاً نَظَرٌ، إذْ أنَّ رَفْعَ الإبْهَامِ يَكَادُ يَشْتَرِكُ فِيْهِ مُعْظَمُ أبْوَابِ النَّحْوِ وإلاّ لَكَان لَغْوَاً،فَالْخَبَرُ يَرْفَعُ إبْهَامَ الْمُبْتَدَأ، فَقَوْلُنَا (زَيْدٌ) بِدُوْنِ ذِكْرِ الْخَبَرِ مُبْهَمٌ غَيْرُ مُبَيَّنٍ، إذْ هُوَ يَحْتَمِلُ أنْوَاعَاً لا حَصْرَ لَهُ مِنْ الأخْبَارِ والصِّفَاتِ، فَقَدْ يُرَادُ الإخْبَارُ عَنْهُ بِكَوْنِهِ نَائِمَاً أوْ مُسَافِرَاً أوْ نَاجِحَاً، وقَدْ لا يُقتَصَرُ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ أوْ أكْثَرَ مِنْهَا، فَإذَا قُلْنَا (مُسَافِرٌ) رَفَعَ ذَا الإبْهَامَ، فالْخَبَرُ قَدْ أزَالَ إبْهَامَ الْمُبْتَدَأ، ومَا قِيْلَ عَنِ الْخَبَرِ يُقَالُ عَنِ الْفَاعِلِ، فَلَوْ قُلْنَا: (نَامَ) لَشَمِلَ كُلَّ مَنْ يَتَّصِفُ بِذِي الصِّفَةِ، فَهُوَ إذَنْ مُبْهَمٌ، فَإذَا قُلْنَا (زَيْدٌ) أُزِيْلَ ذَلِكَ الإبْهَامُ، وكَذَا الْقَوْلُ فِي الْمَفَاعِيْلِ، فَالْمَفْعُوْلُ بِهِ مُزِيْلٌ إبْهَامَ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْفِعْلُ، والْمَفْعُوْلُ لأجْلِهِ مُوَضِّحٌ سَبَبَ وُقُوْعِ الْفِعْلِ، والظَّرْفُ مُبَيّنٌ مَكَانَ وُقُوْعِهِ أوْ زَمَانَهُ، فَهُوَ مُزِيْلٌ للإبْهَامِ، وكَذَا الْمُسْتَثْنَى إذْ لَوْ قُلْنَا (جَاءَ الْقَوْمُ) لاحْتَمَلَ الْمَجِيءُ الْقَوْمَ جَمِيْعَهُمْ أوْ مُعْظَمَهُمْ، كَمَا يَحْتَمِلُ مَجِيءَ بَعْضِهِمْ، كَمَا يَحْتَمِلُ عَدَمَ مَجِيءِ وَاحِدٍ أوْ أكْثَرَ مِنْهُمْ، فَهَذَا إبْهَامٌ، فَإذَا قُلْنَا: (إلاّ زَيْدَاً) عُلِمَ الْجَاؤُوْنَ، وحُدِّدَ المُتَخَلِّفُوْنَ، وكَذَا قَوْلُنَا: (مَا زَيْدٌ إلاّ شَاعِرٌ) و (مَا جَاءَ إلاّ زَيْدٌ) و (مَا رَأيْتُ إلاّ زَيْدَاً) و (مَا سَافَرْتُ إلاّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ) وغَيْرُهَا.

فَإزَالَةُ الإبْهَامِ أوْ رَفْعُهُ صِفَةٌ تَشْتَرِكُ فِيْهَا الْمَفَاعِيْلُ وغَيْرُ الْمَفَاعِيْلِ، والإبْهَامُ –كَمَا لا يُخْفَى – أنْوَاعٌ، فَتَفَرَّدَ كُلُّ بَابٍ بِإزَالَةِ نَوْعٍ مِنْ ذِي الأنْوَاعِ، فَالْخَبَرُ رَافِعٌ إبْهَامَ الْمُبْتَدَأ، والْفَاعِلُ مُبَيِّنٌ إبْهَامَ الْقَائِمِ بالْفِعْلِ وتَجَدُّدِهِ، والْمَفْعُوْلُ بِهِ مُزِيْلٌ إبْهَامَ مَنْ وَقَعَ عَلَيْهِ الْفِعْلُ، والْحَالُ يُبَيّنُ إبْهَامَ هَيْئَةِ وُقُوْعِ الْحَدَثِ مِنْ لَدُنِ الْفَاعِلِ، أوْ وُقُوْعِهِ عَلَى الْمَفْعُوْلِ، أو يُبَيّنُ هَيْئَةَ الْمُبْتَدَأ، والتَّمْيِيْزُ يُبَيّنُ إبْهَامَ الذَّاتِ أوِ النِّسْبَةِ، وكَذَا البَوَاقِي، فَلَوْ كَانَ التَّمْيِيْزُ والْحَالُ يَشْتَرِكَانِ فِي إزَالَةِ إبْهَامِ شَيْءٍ وَاحِدٍ لَكَان وَجْهَاً، ولَجَازَ أنْ يُقَالَ إنّهُمَا مُتَشَابِهَانِ مِنْ ذَا الوَجْهِ، ولَكِنَّ الأمْرَ لَيْسَ كَذَلِكَ، فَلا وَجْهَ لِلْقَوْلِ بِمُشَابَهَتِهِمَا مِنْ ذَا الوَجْهِ، قَالَ السّيُوْطِيُّ: ((الفَرْقُ بَيْنَ الْحَالِ والتَّمْيِيْزِ ظَاهِرٌ، لأنَّ التَّمْيِيْزَ مُفَسّرٌ لِذَاتِ الْمُمَيَّزِ، والْحَالُ لَيْسَتْ بِمُفَسِّرٍ.))[٤٧]

فَتَشْبِيْهُ بَعْضِهِمُ الْحَالَ بالتَّمْيِيْزِ فَاسِدٌ، لأنَّ الفَرْقَ بَيْنَهُمَا وَاضِحٌ، يَقُوْلُ عَبْدُ الْقَاهِرِ الْجُرْجَانِيُّ: ((وأمَّا الوَجْهُ الَّذِي يُفَارِقُ مِنْهُ الْحَالُ التَّمْيِيْزَ فَهُوَ أنّ أصْلَ الْحَالِ أنْ يَكُوْنَ صِفَةً كَقَوْلِكَ (جَاءَنِي زَيْدٌ رَاكِبَاً)، وأصْلُ التَّمْيِيْزِ أنْ يَكُوْنَ اسْمَاً كَقَوْلِكَ (امْتَلأ الإنَاءُ مَاءً) و (عِشْرُوْنَ دِرْهَمَاً)، لأنَّ الْحَالَ هُوَ مَا يَحْتَمِلُ التَّحَوُّلَ والتَّنَقُّلَ، وحَقِيْقَتُهَا أنّهَا الْهَيْئَةُ الَّتِي يَكُوْنُ عَلَيْهَا الشَّيْءُ عِنْدَ مُلابَسَةِ الْفِعْلِ وَاقِعَاً عَلَيْهِ، فَإذَا قُلْتَ (جَاءَنِي زَيْدٌ رَاكِبَاً) فَالرُّكُوْبُ هَيْئَةُ زَيْدٍ عِنْدَ وُقُوْعِ الْمَجِيءِ مِنْهُ، وكَذَلِكَ (ضَرَبْتُ زَيْدَاً قَائِمَاً)، فَالْقِيَامُ هَيْئَةٌ لَهُ عِنْدَ وُقُوْعِ الضَّرْبِ عَلَيْهِ، وهَذَا الْمَعْنَى بَابُهُ الصِّفَاتُ، والتَّمْيِيْزُ يُقْصَدُ بِهِ تَبْيِيْنُ الْجِنْسِ نَحْوُ أنْ تَقُوْلَ: (عِشْرُوْنَ)، فَلا يُدْرَى

مِنْ أيّ جِنْسٍ هُوَ، فَنَقُوْلُ: (عِشْرُوْنَ دِرْهَماً)، فَيَجِبُ أنْ يَكُوْنَ مِنَ الأسْمَاءِ، ألا تَرَى أنّكَ لَوْ قُلْتَ: (امْتَلأ الإنَاءُ صَافِيَاً) لَمْ يَكُنْ فِيْهِ بَيَانٌ، لأنَّ الصِّفَةَ تَصْلَحُ لِغَيْرِ نَوْعٍ، إذِ الصَّفَاءُ يُوْصَفُ بِهِ غَيْرُ الْمَاءِ مِمَّا يَكُوْنُ فِي الأوَانِي، فَإذَا جَعَلْتَهُ تَمْيِيْزَاً لَمْ يَكُنْ سَالِكَاً سَبِيْلَ الْبَيَانِ، وكَذَا لَوْ قُلْتَ: (عِشْرُوْنَ حَسَناً) كَانَ عَلَى الإبْهَامِ، فَإنَّمَا يَجِبُ أنْ تَقُوْلَ: (عِشْرُوْنَ دِرْهَماً) و (عِشْرُوْنَ رَجُلاً) لِيُعْرَفَ جِنْسٌ مَخْصُوْصٌ، ثُمَّ إنْ أرَدْتَ وَصْفَ ذَلِكَ وَصَفْتَهُ.))[٤٨]

* * *

مَا يُفَرِّقُهُمَا:

نَقُوْلُ: لا يَجُوْزُ قِيَاسُ الْحَالِ عَلَى التَّمْيِيْزِ، ولا العَكْسُ، لِشَبَهٍ مَا بَيْنَهُمَا، لأنَّا لا نَرَى هَذَا الشَّبَهَ، ولا نُسَلِّمُ بِمَا ذَكَرُوْهُ مِنْ أوْجُهِ الشَّبَهِ بَيْنَهُمَا، وعَلَى فَرْضِ التَّسْلِيْمِ بِصِحَّةِ مَا ذَكَرُوْا فَإنَّ مَا يُفَرِّقُهُمَا أكْثَرُ مِمَّا يَجْمَعُهُمَا، وقَدْ أقَرُّوْا هُمْ بِذَا فَقَالُوْا: ((اعْلَمْ أنَّهُمَا قَدِ اجْتَمَعَا فِي خَمْسَةِ أُمُوْرٍ[٤٩]وافْتَرَقَا فِي سَبْعَةٍ، فَأوْجُهُ الاتِّفَاقِ أنَّهُمَا: اسْمَانِ، نَكِرَتَانِ، فَضْلَتَانِ، مَنْصُوْبَتَانِ، رَافِعَتَانِ للإبْهَامِ، وأمَّا أوْجُهُ الافْتِرَاقِ:

فَأحَدُهَا: أنَّ الْحَالَ يَكُوْنُ جُمْلَةً كـ(جَاءَ زَيْدٌ يَضْحَكُ)، وظَرْفَاً نَحْوُ (رَأيْتُ الْهِلالَ بَيْنَ السَّحَابِ)، وجَارَّاً ومَجْرُوْرَاً نَحْوُ (فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِيْنَتِهِ)[٥٠] ، والتَّمْيِيْزُ لا يَكُوْنُ إلاّ اسْماً ))[٥١].

وهَذَا عَجِيْبٌ، فَهُمْ يَذْكُرُوْنَ – مَرَّةً – أنَّ مِمَّا يَجْمَعُهُمَا كَوْنُهُمَا اسْمَيْنِ، ثُمَّ يَذْكُرُوْنَ – أُخْرَى – أنَّ مِمَّا يُفَرِّقُهُمَا كَوْنُ الْحَالِ تَقَعُ اسْماً وجُمْلَةً وظَرْفَاً وجَارَّاً ومَجْرُوْرَاً، والتَّمْيِيْزُ لا يَقَعُ إلاّ اسْماً، فَكَيْفَ يَكُوْنُ ذَا الْوَجْهُ جَامِعَاً بَيْنَهُمَا ومُفَرِّقَاً فِي آنٍ مَعَاً ؟! فَالأوْجَهُ مِنْ ذَا أنْ يُقَالَ: ((إنَّ أصْلَ الْحَالِ أنْ يَكُوْنَ صِفَةً كَقَوْلِكَ (جَاءَنِي زَيْدٌ رَاكِبَاً)، وأصْلُ التَّمْيِيْزِ أنْ يَكُوْنَ اسْماً كَقَوْلِكَ (امْتَلأ الإنَاءُ مَاءً) و (عِشْرُوْنَ دِرْهَماً) . . .))[٥٢]

وقَالُوْا: ((والثَّانِي [يُرِيْدُ مِنْ أوْجُهِ الافْتِرَاقِ]: أنَّ الْحَالَ قَدْ يَتَوَقَّفُ مَعْنَى الْكَلامِ عَلَيْهَا كَقَوْلِهِ تَعَالَى (وَلا تَمْشِ فِي الأرْضِ مَرَحَاً)[٥٣] و (لا تَقْرَبُوْا الصَّلاةَ وأنْتُمْ سُكَارَى)[٥٤] ، وقَالَ:

إنَّمَا الْمَيْتُ مَنْ يَعِيْشُ كَئِيْبَاً كَاسِفَاً بَالُهُ قَلِيْلَ الرَّجَاءِ

بِخِلافِ التَّمْيِيْزِ.))[٥٥]

لَقَدْ رَأَيْنَا أنَّ التَّمْيِيْزَ أيْضَاً يَتَوَقَّفُ مَعْنَى الْكَلامِ عَلَيْهِ، بَلْ نَرَى أنَّ كُلَّ مَا عَدُّوْهُ فَضْلَةً لَيْسَ بِفَضْلَةٍ لِتَوَقُّفِ مَعْنَى الْكَلامِ عَلَيْهِ، فَلا يَتِمُّ كَلامُنَا (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرَاً) إذَا أسْقَطْنَا الْمَفْعُوْلَ بِهِ (عَمْرَاً)، وكَذَا إذَ أسْقَطْنَا ظَرْفَيِ الزَّمَانِ والْمَكَانِ والْمَفْعُوْلَ لأجْلِهِ مِنْ قَوْلِنَا (ضَرَبَ زَيْدٌ ابْنَهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ أمَامَ دَارِهِ تَأْدِيْبَاً)، لأنَّ السَّامِعَ لا يَدْرِي – حِيْنَئِذٍ – لِمَ ضَرَبَهُ ومَتَى وأيْنَ فَيَسْألُ عَنْ كُلِّ ذَا.

وقَالُوْا: ((والثَّالِثُ [يُرِيْدُ مِنْ أوْجُهِ الافْتِرَاقِ]: أنّ الْحَالَ مُبَيِّنَةٌ لِلْهَيْئَاتِ، والتَّمْيِيْزُ مُبَيِّنٌ للذَّوَاتِ.

والرَّابِعُ: أنَّ الْحَالَ تَتَعَدَّدُ كَقَوْلِهِ:

عَلَيَّ إذَا مَا زُرْتُ لَيْلَى بِخُفْيَةٍ زِيَارَةُ بَيْتِ اللهِ رِجْلانَ حَافِيَاً

بِخِلافِ التَّمْيِيْزِ. . .

والْخَامِسُ: أنَّ الْحَالَ تَتَقَدَّمُ عَلَى عَامِلِهَا إذَا كَانَ فِعْلاً مُتَصَرِّفَاً أوْ وَصْفَاً يُشْبِهُهُ. . ولا يَجُوْزُ ذَلِكَ فِي التَّمْيِيْزِ عَلَى الصَّحِيْحِ. . .

السَّادِسُ: أنَّ حَقَّ الْحَالِ الاشْتِقَاقُ، وحَقُّ التَّمْيِيْزِ الْجُمُوْدُ. . . .

السَّابِعُ: أنْ تَكُوْنَ مُؤَكِّدَةً لِعَامِلِهَا نَحْوُ (وَلَّى مُدْبِرَاً)[٥٦] و (فَتَبَسَّمَ ضَاحِكَاً)[٥٧] و ( لا تَعْثَوْا فِي الأرْضِ مُفْسِدِيْنَ )[٥٨] ولا يَقَعُ التَّمْيِيْزُ كَذَلِكَ، فَأَمَّا ( إنَّ عِدَّةَ الشُّهُوْرِ عِنْدَ اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً)[٥٩] فـ (شَهْرَاً) مُؤَكِّدٌ لِمَا فُهِمَ مِنْ (إنّ عِدَّةَ الشُّهُوْرِ)، وأمَّا بالنِّسْبَةِ إلَى عَامِلِهِ، وهُوَ اثْنَا عَشَرَ، فَمُبَيِّنٌ، وأمَّا مَا اخْتارَهُ الْمُبَرِّدُ ومَنْ وَافَقَهُ مِنْ (نِعْمَ الرَّجُلُ رَجُلاً زَيْدٌ) فَمَرْدُوْدٌ، وأمَّا قَوْلُهُ:

تَزَوَّدْ مِثْلَ زَادِ أبِيْكَ فِيْنَا فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ أبِيْكَ زَادَاً

فَالصَّحِيْحُ أنَّ (زَادَاً) مَعْمُوْلٌ لـ (تَزَوَّدْ)، إمَّا مَفْعُوْلٌ مُطْلَقٌ إنْ أُرِيْدَ بِهِ التَّزَوُّدُ، وإمَّا مَفْعُوْلٌ بِهِ إنْ أُرِيْدَ بِهِ الشَّيْءُ الَّذِي يَتَزَوَّدُهُ مِنْ أفْعَالِ البِرِّ، وعَلَيْهِمَا فـ (مِثْلَ) نَعْتٌ لَهُ تَقَدَّمَ فَصَارَ حَالاً، وأمَّا قَوْلُهُ:

نِعْمَ الْفَتَاةُ فَتَاةً هِنْدُ لَوْ بَذَلَتْ رَدَّ التَّحِيَّةِ نُطْقَاً أوْ بِإيْمَاءِ

فـ (فَتَاةً) حَالٌ مُؤَكِّدَةٌ.))[٦٠]

وعِنْدِي لا أرَى بُعْدَاً فِي مَجِيءِ التَّمْيِيْزِ تَوْكِيْدَاً، إذْ لا أرَى مَانِعَاً مِنْ ذَلِكَ، فَلَوْ سُئِلْتَ: بِكَمْ دِرْهَمٍ اشْتَرَيْتَ هَذَا ؟ فَقُلْتَ: بِعِشْرِيْنَ دِرْهَمَاً، فـ (دِرْهَمَاً) لَمْ يُزِلْ إبْهَامَ (عِشْرِيْنَ) لأنَّهُ وَاضِحٌ، فَذِكْرُهُ لَمْ يُفِدْ إلاّ التَّوْكِيْدَ، واعْلَمْ أنَّ فِي الْمَسْأَلَةِ خِلافَاً.[٦١]

ومِنْ لَطِيْفِ افْتِرَاقِهِمَا أنَّ الْمَنْصُوْبَ عَلَى الْحَالِ غَيْرُ الْمَنْصُوْبِ عَلَى التَّمْيِيْزِ وإنْ كَانَا مَرْفُوْعَيْنِ فِي الْمَعْنَى، لأنّكَ إذَا قُلْتَ (جَاءَنِي زَيْدٌ رَاكِبَاً)، فَالرَّاكِبُ هُوَ زَيْدٌ نَفْسُهُ، فَكَأنَّكَ قُلْتَ:جَاءَنِي رَاكِبٌ، فَالْحَالُ مَرْفُوْعٌ فِي الْمَعْنَى كَمَا أنَّ التَّمْيِيْزَ كَذَلِكَ، فَلَوْ قُلْتَ (تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقَاً) كَانَ الأصْلُ: تَصَبَّبَ عَرَقُ زَيْدٍ، فَالتَّمْيِيْزُ أيْضَاً مَرْفُوْعٌ فِي الْمَعْنَى، ولَكِنْ عَلَى الرَّغْمِ مِنْ ذَا فَهُمَا مُخْتَلِفَانِ مِنْ وَجْهَيْنِ:

أحَدُهُمَا: أنَّ العَرَقَ مِنْ قَوْلِنَا (تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقَاً) لَيْسَ زَيْدَاً عَلَى الإطْلاقِ، وإنَّمَا هُوَ شَيْءٌ مِنْهُ، وأمَّا (رَاكِبَاً) فِي قَوْلِنَا (جَاءَنِي زَيْدٌ رَاكِبَاً) فَهُوَ زَيْدٌ كُلُّهُ، وعِبَارَةٌ عَنْهُ، ولَيْسَ اسْمَاً وُضِعَ عَلَى شَيْءٍ كَالعَرَقِ.

والثَّانِي: أَنَّنَا إِذَا قُلْنَا (تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقَاً) فَالْمَعْنَى: تَصَبَّبَ العَرَقُ، فَالْفِعْلُ لِلْعَرَقِ عَلَى الْحَقِيْقَةِ ولَيْسَ لِلْبَدَنِ فِيْهِ شَيْءٌ، لأَنَّ الْعَرَقَ هُوَ الْمُتَصَبِّبُ، ولَيْسَ لِزَيْدٍ حَظٌّ فِي الْفِعْلِ، فَهُوَ كَقَوْلِنَا (حَسُنَ زَيْدٌ وَجْهَاً) و (حَسُنَ عَمْرٌو غُلامَاً) فَالْفِعْلُ فِيْهِمَا لِلْوَجْهِ والْغُلامِ ولَيْسَ لِزَيْدٍ وعَمْرٍو حَظٌّ فِي ذَلِكَ، وأَمَّا إِذَا قُلْنَا ( جَاءَنِي زَيْدٌ رَاكِبَاً) فَالأَمْرُ عَلَى الْعَكْسِ مِنْ ذَا، لأَنَّ الْفِعْلَ فِي الْحَقِيْقَةِ لِزَيْدٍ و (رَاكِبَاً) تَابِعٌ لَهُ وعِبَارَةٌ عَنْهُ.(٦٢)

ويُمْكِنُ أَنْ نُضِيْفَ وَجْهَاً ثَالِثَاً عَلَى ذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ فَنَقُوْلُ: إِنَّ الْمَنْصُوْبَ فِي بَابِ الْحَالِ فِي حُكْمِ الْمَفْعُوْلِ الْمَحْضِ، ولَيْسَ كَذَلِكَ الْمَنْصُوْبُ فِي بَابِ التَّمْيِيْزِ،لأَنَّنَا إِذَا قُلْنَا (جَاءَنِي زَيْدٌ رَاكِبَاً) كَانَ الْفِعْلُ لِزَيْدٍ عَلَى الْحَقِيْقَةِ، فَهُوَ فَاعِلُ الْمَجِيءِ لَفْظَاً ومَعْنًى، وكَانَ الْمَنْصُوْبُ تَابِعَاً لَهُ، فَالْفِعْلُ قَدِ اسْتَوْفَى فَاعِلَهُ لَفْظَاً ومَعْنًى والْمَنْصُوْبُ بَعْدَهُ فِي حُكْمِ الْمَفْعُوْلِ الْمَحْضِ كَمَا فِي نَحْوِ (ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْرَاً)، ولَكِنْ إِذَا قُلْنَا (تَصَبَّبَ زَيْدٌ عَرَقَاً) كَانَ الْفِعْلُ لِلْعَرَقِ عَلَى الْحَقِيْقَةِ، ولَيْسَ لِزَيْدٍ حَظٌّ فِيْهِ، ولَكِنَّ الْعَرَقَ فَاعِلٌ مَعْنًى لا لَفْظَاً، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ الْفَاعِلِ، وزَيْدٌ فِيْهِ فَاعِلٌ لَفْظَاً لا مَعْنًى، فَالْفِعْلُ قَبْلَ التَّمْيِيْزِ قَدِ اسْتَوْفَى فَاعِلَهُ لَفْظَاً لا مَعْنًى، وفِي بَابِ الْحَالِ قَدِ اسْتَوْفَاهُ لَفْظَاً ومَعْنًى، ومِنْ ثَمَّ جَازَ تَقْدِيْمُ الْمَنْصُوْبِ فِي بَابِ الْحَالِ لأَنَّهُ فِي حُكْمِ الْمَفْعُوْلِ ولَمْ يَجُزْ تَقْدِيْمُهُ فِي بَابِ التَّمْيِيْزِ لأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْفَاعِلِ مَعْنًى كَمَا لَمْ يَجُزْ تَقْدِيْمُهُ فِي بَابِ الصِّفَةِ الْمُشَبَّهَةِ، إِذْ لا يُقَالُ (وَجْهُهُ حَسُنَ) عَلَى إِرَادَةِ: حَسُنَ وَجْهُهُ، لأَنَّهُ بِمَنْزِلَةِ الْفَاعِلِ.(٦٣)

وأَيْضَاً يَفْتَرِقَانِ فِي مَعْنَاهُمَا، فَالتَّمْيِيْزُ بِمَعْنَى (مِنْ) والْحَالُ بِمَعْنَى (فِي)(٦٤) فَمَعْنَى قَوْلِنَا (جَاءَ زَيْدٌ رَاكِبَاً): جَاءَ زَيْدٌ فِي حَالِ الرُّكُوْبِ، فَوُقُوْعُ الْفِعْلِ كَانَ فِي حَالِ الرُّكُوْبِ لِذَلِكَ كَانَ لَهَا شَبَهٌ بِالْمَفْعُوْلِ فِيْهِ وبِخَاصَّةٍ ظَرْفَ الزَّمَانِ، لأَنَّهَا تُقَدَّرُ بِـ ( فِي ) كَمَا أَنَّ ظَرْفَ الزَّمَانِ يُقَدَّرُ بِـ (فِي)(٦٥) ، لِذَلِكَ عَبَّرَ سِيْبَوَيْهِ عَنْ بَابِ الْحَالِ بِقَوْلِهِ: (هَذَا بَابُ مَا يَعْمَلُ فِيْهِ الْفِعْلُ فَيَنْتَصِبُ وَهُوَ حَالٌ وَقَعَ فِيْهِ الْفِعْلُ ولَيْسَ بِمَفْعُوْلٍ)(٦٦) ، وقَالَ السِّيْرَافِيُّ: ((ضَمَّنَ سِيْبَوَيْهِ هَذَا الْبَابَ مَا يَنْتَصِبُ لأَنَّهُ حَالٌ، وفَرَّقَ بَيْنَهُ وبَيْنَ مَا يَنْتَصِبُ لأَنَّهُ مَفْعُوْلٌ ثَانٍ، مِنْ قِبَلِ أَنَّ الْحَالَ إِنَّمَا هِيَ وَصْفٌ مِنْ أَوْصَافِ الْفَاعِلِ أَوِ الْمَفْعُوْلِ فِي وَقْتِ وُقُوْعِ الْفِعْلِ مِنْهُ.))(٦٧)

تَكَلَّمْنَا عَلَى مَا يَجْمَعُ بَيْنَ الْحَالِ والتَّمْيِيْزِ ومَا يُفَرِّقُهُمَا مُطَّرِحِيْنَ الْمَعْنَى الَّذِي قَصَدَهُ الْمُتَكَلِّمُ، غَيْرَ مُلْتَفِتِيْنَ إِلَى مَا أَرَادَهُ الْمُنْشِيءُ، وكَأَنَّ الْكَلامَ تَطْبِيْقٌ لِمَا وُضِعَ مِنْ ضَوَابِطَ، والْتِزَامٌ بِمَا قُعِّدَ مِنْ قَوَاعِدَ مُجَرَّدَاً مِنْ صَاحِبِهِ ومَا رَمَى إِلَيْهِ مِنْ غَرَضٍ، والصَّوَابُ أَنْ يَكُوْنَ لِلْمَعْنَى الْمَقَامُ الأَوَّلُ، والاعْتِبَارُ الأَكْبَرُ، ثُمَّ يَأْتِي – بَعْدُ – مَا قُعِّدَ ومَا وُضِعَ، ولَكِنَّهُمْ عَكَسُوْا فَكَانَ اخْتِلافُهُمْ، أُنْظُرْ إِلَى مَا قَالُوْا فِي الأَصْلِ الْمَنْصُوْبِ بَعْدَ الفَرْعِ فِي نَحْوِ (هَذَا خَاتَمٌ حَدِيْدَاً، وبَابٌ

سَاجَاً، وثَوْبٌ خَزَّاً) فَإنَّ الْخَاتَمَ فَرْعُ الْحَدِيْدِ مِنْ جِهَةِ أنّهُ مَصُوْغٌ مِنْهُ، فَالْحَدِيْدُ هُوَ الأصْلُ، والْخَاتَمُ مُشْتَقٌّ مِنْهُ، فَهُوَ فَرْعُهُ بِهَذَا الاعْتِبَارِ، والْبَابُ فَرْعُ السَّاجِ، والثَّوْبُ فَرْعُ الْخَزِّ، قَالَ سِيْبَوَيْهِ: إنَّ الْمَنْصُوْبَ فِي مِثْلِ ذَا حَالٌ، لأنَّ الْخَاتَمَ لَيْسَ بِمِقْدَارٍ يُقَدَّرُ بِهِ الْحَدِيْدُ، وكَذَا الْبَابُ والثَّوْبُ، وإنَّمَا ذَهَبَ إلَى كَوْنِهِ حَالاً اسْتِدْلالاً بِوُقُوْعِهِ تَابِعَاً فِي نَحْوِ (هَذَا خَاتَمٌ حَدِيْدٌ)، فَالتَّابِعُ نَعْتٌ، لأنَّ الْحَدِيْدَ والسَّاجَ والْخَزَّ إنَّمَا جِيْءَ بِهِ لِبَيَانِ جِنْسِ الْخَاتَمِ والْبَابِ والثَّوْبِ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ (جَاءَنِي هَذَا الرَّجُلُ)، فَالرَّجُلُ إنَّمَا جِيْءَ بِهِ لِبَيَانِ الْجِنْسِ، لأنَّ الْمُبْهَمَ أوّلُ مَا يَنْبَهِمُ فِيْهِ جِنْسُهُ، وكَذَلِكَ الْخَاتَمُ والْبَابُ والثَّوْبُ أوّلُ مَا يَنْبَهِمُ فِيْهَا جِنْسُهَا، فَقَدْ جَرَى هَذَا كُلُّهُ مَجْرَى الصِّفَاتِ الْمُشْتَقَّاتِ نَحْوُ قَوْلِكَ (جَاءَنِي زَيْدٌ الْعَاقِلُ)، لأنَّ الْعَاقِلَ إنَّمَا جِيْءَ بِهِ لِبَيَانِ وَصْفِ زَيْدٍ.[٦٨] وقِيْلَ: كُلُّ نَكِرَةٍ وَقَعَتْ نَعْتَاً وانْتَصَبَتْ عَنِ الْمَعْرِفَةِ فِي نَحْوِ (هَذَا خَاتَمُكَ حَدِيْدَاً) فَهُوَ حَالٌ[٦٩]، وقَالَ الْمُبَرِّدُ: إنَّمَا هُوَ تَمْيِيْزٌ، وخَطَأٌ أنْ يَكُوْنَ حَالاً[٧٠]بِدَلالَةِ جُمُوْدِهِ ولُزُوْمِهِ وتَنْكِيْرِ مَا قَبْلَهُ وحُسْنِ ظُهُوْرِ (مِنْ) مَعَهُ[٧١]، واخْتَارَ الزَّجَّاجِيُّ كَوْنَهُ تَمْيِيْزَاً[٧٢]، وقَالَ ابْنُ السَّرَّاجِ: إنْ كَانَ مَا قَبْلَهُ مَعْرِفَةً فَهُوَ حَالٌ لا غَيْرُ.[٧٣]

نَقُوْلُ: لَوِ اعْتَبَرُوْا الْمَعْنَى مَا اخْتَلَفُوْا بَلِ اتَّفَقُوْا عَلَى جَوَازِ كَوْنِ هَذَا الْمَنْصُوْبِ حَالاً وتَمْيِيْزَاً بِحَسَبِ مُرَادِ الْمُتَكَلِّمِ، فَالْمَعْنَى – بِإرَادَةِ الْحَالِيَّةِ –:هَذَا خَاتَمٌ حَالَ كَوْنِهِ حَدِيْدَاً، أوْ:أنَّ الْخَاتَمَ الْمَصُوْغَ مِنَ الْحَدِيْدِ تَكَسَّرَ وصَارَ قِطْعَةً مِنَ الْحَدِيْدِ بَعْدَ زَوَالِ هَيْئَةِ الْخَاتَمِ، والْمَعْنَى – بِإرَادَةِ التَّمْيِيْزِ –:هَذَا خَاتَمٌ مَصُوْغٌ مِنَ الْحَدِيْدِ، أيْ:جِنْسُهُ حَدِيْدٌ، أو: هَذَا حَدِيْدٌ بِمِقْدَارِ خَاتَمٍ، كَمَا قَالُوْا (عِنْدِي رَطْلٌ زَيْتَاً) بِمَعْنَى: عِنْدِي زَيْتٌ بِمِقْدَارِ رَطْلٍ، ومَا قِيْلَ عَنِ الْحَدِيْدِ يُقَالُ عَنِ الْبَابِ والثَّوْبِ، واللهُ أعْلَمُ.

وعَلَّلَ سِيْبَوَيْهِ كَوْنَهُ حَالاً بِقَوْلِهِ: ((لأنَّ الْجُبَّةَ لَيْسَتْ بِمِقْدَارٍ يُقَدَّرُ بِهِ الْخَزُّ فَيَجْرِي مَجْرَى رَاقُوْدٍ ونِحْيٍ والإنَاءِ وعِشْرِيْنَ.))[٧٤] ، ثُمَّ يَقُوْلُ فِي بَابِ التَّمْيِيْزِ: (( وَمَعَ ذَلِكَ أنَّكَ إذَا قُلْتَ (لِي مِثْلُهُ) فَقَدْ أبْهَمْتَ، كَمَا أنَّكَ إذَا قُلْتَ (لِي عِشْرُوْنَ) فَقَدْ أبْهَمْتَ الأنْوَاعَ، فَإذَا قُلْتَ: دِرْهَمَاً، فَقَدِ اخْتَصَصْتَ نَوْعَاً، وبِهِ يُعْرَفُ مِنْ أيّ نَوْعٍ ذَلِكَ الْعَدَدُ، فَكَذَلِكَ (مِثْلُهُ) هُوَ مُبْهَمٌ يَقَعُ عَلَى أنْوَاعٍ: الشَّجَاعَةُ، والفُرُوْسِيَّةُ، والْعَبِيْدُ.))[٧٥]

أقُوْلُ: أ لَيْسَتْ (جُبَّتُكَ) فِي قَوْلِنَا (هَذِهِ جُبَّتُكَ خَزَّاً) مُبْهَمَةٌ تَقَعُ عَلَى الأنْوَاعِ: عَلَى الْحَرِيْرِ وعَلَى الصُّوْفِ وعَلَى الخَزِّ ؟ فَإذَا قُلْتَ: خَزَّاً، فَقَدِ اخْتَصَصْتَ نَوْعَاً، وبِهِ عُرِفَ مِنْ أيّ نَوْعٍ تِلْكَ الْجُبَّةُ، ومَا قُلْنَاهُ فِي ذَا يُقَالُ فِي (هَذَا خَاتَمٌ حَدِيْدَاً، وبَابٌ سَاجَاً، وثَوْبٌ خَزَّاً)، واللهُ أعْلَمُ.

وكَمَا اخْتَلَفُوْا فِي هَذَا الأصْلِ مَنْصُوْبَاً كَذَلِكَ اخْتَلَفُوْا فِيْهِ تَابِعَاً مَا قَبْلَهُ فِي نَحْوِ (هَذَا خَاتَمٌ حَدِيْدٌ، وبَابٌ سَاجٌ، وثَوْبٌ خَزٌّ)، فَهُوَ عِنْدَ سِيْبَوَيْهِ نَعْتٌ، كَمَا ذَكَرْنَا، وعِنْدَ الزَّجَّاجِيِّ بَدَلٌ مِمَّا قَبْلَهُ بَدَلَ شَيْءٍ مِنْ شَيْءٍ، وهُمَا لِعَيْنٍ وَاحِدَةٍ مُسْتَدِلاً بِقِلَّةِ مَجِيْئِهِ تَابِعَاً، لأنَّ النَّعْتَ بالأسْمَاءِ الْجَامِدَةِ

قَلِيْلٌ فِي كَلامِ الْعَرَبِ[٧٦]، ورُدَّ بأنَّ الْمَعْنَى لَيْسَ عَلَى البَدَلِيّةِ بَلْ عَلَى سَنَنِ الأوّلِ[٧٧]،وعِنْدَ آخَرِيْنَ عَطْفُ بَيَانٍ[٧٨]، ورُدَّ بالتَّخَالُفِ فِي التَّعْرِيْفِ فِي (هَذَا خَاتَمُكَ حَدِيْداً).[٧٩]

لَقَدِ اخْتَلَفُوْا – كَمَا رَأَيْنَا – فِي الأَصْلِ الْمَنْصُوْبِ بَعْدَ الْفَرْعِ، ولَكِنَّهُمُ اتَّفَقُوْا عَلَى أنَّ الْفَرْعَ الْمَنْصُوْبَ بَعْدَ الأَصْلِ فِي نَحْوِ (عِنْدِي فِضَّةٌ خَاتَماً، وحَدِيْدٌ سَيْفاً) حَالٌ لا غَيْرُ، وكَذَا مَا كَانَ مِنْ نَوْعِ مَا قَبْلَهُ نَحْوُ (عِنْدِي حَلْيٌ خَاتَماً)، فَالْخَاتَمُ نَوْعٌ مِنَ الْحُلِيِّ.[٨٠]

وعِنْدِي كُلٌّ مِنْهُمَا يَحْتَمِلُ الْحَالَ والتَّمْيِيْزَ كَمَا احْتَمَلَهُ الأَصْلُ الْمَنْصُوْبُ بَعْدَ الْفَرْعِ، والْمَعْنَى عَلَى إرَادَةِ الْحَالِيَّةِ: عِنْدِي الْفِضَّةُ حَالَ كَوْنِهَا خَاتَماً، والْحَدِيْدُ حَالَ كَوْنِهِ سَيْفاً، والْحَلْيُ حَالَ كَوْنِهِ خَاتَماً، وعَلَى إرَادَةِ التَّمْيِيْزِ: عِنْدِي فِضَّةٌ مَصُوْغٌ مِنْهَا خَاتَمٌ، أو عِنْدِي فِضَّةٌ مِقْدَارُ خَاتَمٍ، وعِنْدِي حَدِيْدٌ مَصُوْغٌ مِنْهُ سَيْفٌ، أوْ عِنْدِي حَدِيْدٌ مِقْدَارُ سَيْفٍ، وعِنْدِي حَلْيٌ نَوْعُهُ خَاتَمٌ، لأَنَّهُ إذَا قُلْنَا: عِنْدِي فِضَّةٌ، سَبَقَ إلى ذِهْنِ السَّامِعِ كُلُّ الأَنْوَاعِ الَّتِي يُمْكِنُ أنْ يُصَاغَ مِنَ الْفِضَّةِ، ولَمَّا قُلْنَا: خَاتَماً، أزَلْنَا ذَلِكَ الإبْهَامَ، لأَنَّنَا حَدَّدْنَا النَّوْعَ الَّذِي صِيْغَ مِنَ الْفِضَّةِ، وكَذَا (سَيْفاً وخَاتَماً) مِنْ: (عِنْدِي حَدِيْدٌ سَيْفاً) و(عِنْدِي حَلْيٌ خَاتَماً)، واللهُ أعْلَمُ.

قَالَ السِّيُوْطِيُّ فِي الْهَمْعِ: ((مَتَى صَحَّ الإخْبَارُ بالتَّمْيِيْزِ عَمَّا قَبْلَهُ نَحْوُ (كَرُمَ زَيْدٌ أبَاً) فَإنَّهُ يَصِحُّ أنْ يَقَعَ أبٌ خَبَراً لِزَيْدٍ فَنَقُوْلَ (زَيْدٌ أبٌ) فَلَكَ فِيْهِ وَجْهَانِ: عَوْدُهُ إلَيْهِ بَأنْ يَكُوْنَ هُوَ الأبَ، أيْ: مَا أكْرَمَهُ مِنْ أبٍ، وعَلَى هَذَا لا يَكُوْنُ مَنْقُوْلاً مِنَ الْفَاعِلِ ويَجُوْزُ دُخُوْلُ (مِنْ) عَلَيْهِ، وعَوْدُهُ إلَى مُلابِسِهِ الْمُقَدَّرِ بَأنْ يَكُوْنَ الأبُ أبَا زَيْدٍ لا زَيْداً نَفْسَهُ، أيْ: مَا أكْرَمَ أبَاهُ، وعَلَى هَذَا يَكُوْنُ مَنْقُوْلاً مِنَ الْفَاعِلِ، ولا يَجُوْزُ دُخُوْلُ (مِنْ) عَلَيْهِ، وإنْ دَلَّ التَّمْيِيْزُ عَلَى هَيْئَةٍ وعُنِيَ بِهِ الأوّلُ نَحْوُ (كَرُمَ زَيْدٌ ضَيْفاً)، إذَا أُرِيْدَ أنّ زَيْداً هُوَ الضَّيْفُ، جَازَ أنْ يَكُوْنَ (ضَيْفاً) مَنْصُوْباً عَلَى الْحَالِ لِدَلالتِهِ عَلَى هَيْئَةٍ، وعَلَى التَّمْيِيْزِ لِصَلاحِيَّةِ (مِنْ)،ويَجُوْزُ حِيْنَئِذٍ إظْهَارُ (مِنْ) مَعَهُ، وهُوَ الأجْوَدُ رَفْعاً لِتَوَهُّمِ الْحَالِيَّةِ نَحْوُ (كَرُمَ زَيْدٌ مِنْ ضَيْفٍ)، فَإنْ لَمْ يُعْنَ بِهِ الأوّلُ عَلَى قَصْدِ (كَرُمَ ضَيْفُ زَيْدٍ) تَعَيَّنَ النَّصْبُ تَمْيِيْزاً وامْتَنَعَتِ الْحَالِيَّةُ، ولَمْ يَجُزْ دُخُوْلُ (مِنْ) عَلَيْهِ، لأَنَّهُ فَاعِلٌ فِي الأَصْلِ.))[٨١]

ظَاهِرُ كَلامِ السِّيُوْطِيِّ يَدُلُّ عَلَى أنّ (أبَاً) فِي (كَرُمَ زَيْدٌ أبَاً) لا يَحْتَمِلُ إلاّ أنْ يَكُوْنَ تَمْيِيْزاً، سَوَاءٌ أكَانَ (زَيْدٌ) هُوَ الأبَ أمْ كَانَ الأبُ أبَا زَيْدٍ، أيْ: سَواءٌ أكَانَ الْكَرِيْمُ زَيْداً نَفْسَهُ أمْ كَانَ أبَاهُ، عَلَى حِيْنِ أنّ (ضَيْفاً) يَحْتَمِلُ أنْ يَكُوْنَ حَالاً إذَا كَانَ الْكَرِيْمُ هُوَ زَيْداً نَفْسَهُ، ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُوْنَ تَمْيِيْزاً إذَا كَانَ الْكَرِيْمُ هُوَ الضَّيْفَ.

وأنَا لا أرَى فَرْقاً بَيْنَ (أبَاً) و (ضَيْفاً) فِي الْقَوْلَيْنِ، فَيَجُوْزُ فِي (أبَاً) مَا جَازَ فِي (ضَيْفاً) مِنَ الْحَالِيّةِ والتَّمْيِيْزِ، لأنّ كُلاًّ مِنْهُمَا يَصِحُّ الإخْبَارُ بِهِ عَمَّا قَبْلَهُ فَيُقَالُ فِيْهِمَا (زَيْدٌ أبٌ) و (زَيْدٌ ضَيْفٌ)، كَمَا أنّ كُلاًّ مِنْهُمَا يَدُلُّ عَلَى الْهَيْئَةِ، لأنّ زَيْداً قَدْ يَكُوْنُ أبَاً لِعَمْرٍو – مَثَلاً – وَهُوَ فِي نَفْسِ الْوَقْتِ عَمٌّ لِخَالِدٍ وجَدٌّ لِمُحَمَّدٍ، فَهَذَا كُلُّهُ هَيْئَةٌ، وكَذَا (ضَيْفاً)، إذْ قَدْ يَكُوْنُ زَيْدٌ ضَيْفاً فِي

غَيْرِ بَيْتِهِ ولا يَكُوْنُ كَذَلِكَ فِي بَيْتِهِ، لِذَلِكَ نَقُوْلُ: إنّ (أَبَاً) فِي قَوْلِنَا (كَرُمَ زَيْدٌ أَبَاً) وكَانَ الْكَرِيْمُ زَيْداً نَفْسَهُ، يَحْتَمِلُ أنْ يَكُوْنَ حَالاً ويَحْتَمِلُ أنْ يَكُوْنَ تَمْيِيْزاً، والْمَعْنَى – عَلَى الأوّلِ –: كَرُمَ زَيْدٌ حَالَ كَوْنِهِ أَبَاً، وعَلَى الثَّانِي: مَا أَكْرَمَ زَيْداً أَبَاً، أيْ: مَا أَكْرَمَهُ مِنْ أبٍ، وإذا كَانَ الْكَرِيْمُ أَبَا زَيْدٍ لا زَيْداً لَمْ يَكُنْ إلاّ تَمْيِيْزاً، والْمَعْنَى: مَا أَكْرَمَ أَبَا زَيْدٍ.

ونَقُوْلُ (حَسُنَ زَيْدٌ كَاتِبَاً)، فَإذَا كَانَ الْكَاتِبُ هُوَ زَيْداً نَفْسَهُ احْتَمَلَ أنْ يَكُوْنَ حَالاً والْمَعْنَى: حَسُنَ زَيْدٌ حَالَ كَوْنِهِ كَاتِبَاً، واحْتَمَلَ أنْ يَكُوْنَ تَمْيِيْزاً، والْمَعْنَى: مَا أَحْسَنَ زَيْداً كَاتِبَاً، أيْ: مَا أَحْسَنَهُ مِنْ كَاتِبٍ، وإذَا كَانَ الْكَاتِبُ غَيْرَ زَيْدٍ لَمْ يَكُنْ إلاّ تَمْيِيْزاً والْمَعْنَى: مَا أَحْسَنَ كَاتِبَ زَيْدٍ، وكَذَا (طَابَ زَيْدٌ أَخَاً) و (طَابَ زَيْدٌ أُبُوَّةً).

وأمّا إذَا قُلْنَا (طَابَ زَيْدٌ دَارَاً، أوْ عِلْمَاً، أوْ نَفْساً) و(كَفَى زَيْدٌ رَجُلاً)، لَمْ يَكُنْ (دَارَاً) و(عِلْمَاً) و(نَفْساً) و(رَجُلاً) إلاّ تَمْيِيْزاً، لأنّ الْفِعْلَ لا يَجُوْزُ أنْ يَكُوْنَ إلاّ لِلدَّارِ والْعِلْمِ والنَّفْسِ، وأيْضاً لا يَصِحُّ أنْ يَقَعَ التَّمْيِيْزُ خَبَراً عَمَّا قَبْلَهُ، فَلا يُقَالُ (زَيْدٌ دَارٌ) ولا (زَيْدٌ عِلْمٌ) ولا(زَيْدٌ نَفْسٌ)، ولأنَّ (رَجُلاً) فِي (كَفَى زَيْدٌ رَجُلاً) هُوَ نَفْسُ زَيْدٍ، ولَيْسَ فِي تَقْسِيْمِ السِّيُّوْطِيِّ شَيْءٌ مِنْ ذَا، والتَّقْسِيْمُ الصَّحِيْحُ هُوَ مَا أوْرَدَهُ غَيْرُهُ، قَالُوْا: ((إمَّا أنْ يَكُوْنَ نَفْسَ مَا انْتَصَبَ عَنْهُ لا غَيْرَ نَحْوُ (كَفَى زَيْدٌ رَجُلاً) و( للهِ دَرُّ زَيْدٍ رَجُلاً)، فـ (رَجُلاً) هُوَ زَيْدٌ لا غَيْرُ، ونَعْنِي بِمَا انْتَصَبَ التَّمْيِيْزُ عَنْهُ الاسْمُ الَّذِي أُقِيْمَ مُقَامَ التَّمْيِيْزِ حَتَّى صَارَ التَّمْيِيْزُ بِسَبَبِ قِيَامِ ذَلِكَ الاسْمِ مَقَامَهُ فَضْلَةً كـ (زَيْدٌ) فِي (طَابَ زَيْدٌ نَفْساً) فَإنّ الأصْلَ: طَابَتْ نَفْسُ زَيْدٍ، وكـ (الأرْضَ) فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (وفَجَّرْنَا الأَرْضَ عُيُوْنَاً)[٨٢] فَإنّ أصْلَهُ: فَجَّرْنَا عُيُوْنَ الأرْضِ، وكَذَا (كَفَى زَيْدٌ رَجُلاً) كَانَ فِي الأصْلِ: كَفَى رَجُلٌ هُوَ زَيْدٌ، وإمَّا أنْ يَصْلَحَ أنْ يَكُوْنَ نَفْسَهُ ومُتَعَلِّقَهُ نَحْوُ (طَابَ زَيْدٌ أَبَاً)، يَجُوْزُ أنْ تُرِيْدَ بـ (أَبَاً) نَفْسَ زَيْدٍ، وأنْ تُرِيْدَ أَبَاهُ، وإمَّا أنْ لا يَصْلَحَ أنْ يَكُوْنَ نَفْسَهُ بَلْ يَكُوْنُ صِفَةَ نَفْسِهِ لا غَيْرُ نَحْوُ (طَابَ زَيْدٌ عِلْماً)،وإمَّا أنْ يَصْلَحَ أنْ يَكُوْنَ صِفَةَ نَفْسِهِ وصِفَةَ مُتَعَلِّقِهِ نَحْوُ (طَابَ زَيْدٌ أُبُوَّةً)، يَجُوْزُ أنْ يَكُوْنَ الْمَعْنَى: طَابَتْ أُبُوّتُهُ لِغَيْرِهِ، أوْ طَابَتْ أُبُوَّةُ أبِيْهِ، وإمَّا أنْ لا يَصْلَحَ أنْ يَكُوْنَ نَفْسَهُ ولا صِفَةَ نَفْسِهِ بَلْ يَكُوْنُ مُتَعَلِّقاً لَهُ لا غَيْرُ نَحْوُ (طَابَ زَيْدٌ دَارَاً).))[٨٣]

فَإذَا قُلْنَا (زَيْدٌ أَحْسَنُهُمْ كَاتِبَاً) احْتَمَلَ أنْ يَكُوْنَ الْكَاتِبُ هُوَ زَيْداً نَفْسَهُ، واحْتَمَلَ أنْ يَكُوْنَ الْكَاتِبُ غَيْرَهُ،فَعَلَى الأوّلِ يَجُوْزُ فِي (كَاتِبَاً) أنْ يَكُوْنَ حَالاً عَلَى مَعْنَى:زَيْدٌ أَحْسَنُهُمْ حَالَ كَوْنِهِ كَاتِبَاً، وأنْ يَكُوْنَ تَمْيِيْزاً، والْمَعْنَى: زَيْدٌ مَا أَحْسَنَهُمْ كَاتِبَاً، أيْ: مَا أَحْسَنَهُ مِنْ كَاتِبٍ، لأنَّهُ لَوْ قُلْنَا (زَيْدٌ أَحْسَنُهُمْ) لَتَبَادَرَ إلَى ذِهْنِ السَّامِعِ سُؤَالٌ:فِيْمَ زَيْدٌ أَحْسَنُهُمْ؟ فَإذَا قُلْنَا (كَاتِبَاً) زَالَ ذَلِكَ الإبْهَامُ، وعَلَى الثَّانِي لا يَكُوْنُ إلاّ تَمْيِيْزاً، والْمَعْنَى: كَاتِبُ زَيْدٍ أَحْسَنُ مِنْ كُتَّابِهِمْ، فَفِي الأوّلِ مَدْحٌ لِزَيْدٍ، فَهُوَ الأحْسَنُ لأنَّهُ هُوَ الْكَاتِبُ،وفِي الثَّانِي مَدْحٌ لِكَاتِبِهِ، لأنَّهُ هُوَ الأحْسَنُ ولَيْسَ زَيْداً، وكَذَا قَوْلُنَا (زَيْدٌ أَفْرَهُ عَبْداً).

أمَّا إذَا قُلْنَا (مَا أَحْسَنَ زَيْداً مُتَحَدِّثاً) لَمْ يَكُنِ الْمُتَحَدِّثُ إلاّ زَيْداً ولَكِنَّهُ يَحْتَمِلُ أنْ يَكُوْنَ حَالاً وأنْ يَكُوْنَ تَمْيِيْزاً، والْمَعْنَى عَلَى الأوَّلِ: مَا أَحْسَنَهُ حَالَ كَوْنِهِ مُتَحَدِّثاً، فَقَدْ أَوْقَعْنَا التَّعَجُّبَ مِنْهُ ومَدْحَهُ فِي حَالِ التَّحَدُّثِ، والْمَعْنَى عَلَى الثَّانِي: مَا أَحْسَنَهُ مِنْ مُتَحَدِّثٍ، فَقَدْ أَوْقَعْنَا التَّعَجُّبَ والْمَدْحَ فِي ذَاتِهِ، فَقَد مَدَحْنَاهُ عَلَى الْعُمُوْمِ كَمَا نَقُوْلُ: مَا أَحْسَنَهُ مِنْ رَجُلٍ، وكَفَى بِهِ رَجُلاً.

قَالُوْا: ((إنَّ التَّمْيِيْزَ يُنْصَبُ بَعْدَ مَا دَلَّ عَلَى تَعَجُّبٍ. . . .وإنَّ ذَلِكَ غَيْرُ خَاصٍّ بالصِّيغَتَيْنِ الْمَصُوغَتَيْنِ للتَّعَجُّبِ وَهِيَ (مَا أَفْعَلَهُ) و (أَفْعِلْ بِهِ)، فَدَخَلَ فِي ذَلِكَ مَا أَفْهَمَ التَّعَجُّبَ مِنْ غَيْرِ الصِّيْغَتَيْنِ الْمَذْكُوْرَتَيْنِ نَحْوُ (وَيْلَهُ رَجُلاً) و (وَيْحَهُ إنْسَاناً)[٨٤] و (للهِ دَرُّهُ فَارِساً) و (حَسْبُكَ بِهِ كَافِلاً) ونَحْوُ ذَلِكَ.))[٨٥] وقَالَ سِيْبَوَيْهِ: ((هَذَا بَابُ مَا يَنْتَصِبُ انْتِصَابَ الاسْمِ بَعْدَ الْمَقَادِيْرِ وذَلِكَ قَوْلُكَ: (وَيْحَهُ رَجُلاً) و (للهِ دَرُّهُ رَجُلاً) و (حَسْبُكَ بِهِ رَجُلاً) ومَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، وإنْ شِئْتَ قُلْتَ: (وَيْحَهُ مِنْ رَجُلٍ) و (حَسْبُكَ بِهِ مِنْ رَجُلٍ) و (للهِ دَرُّهُ مِنْ رَجُلٍ) فَتَدْخُلُ (مِنْ) هَهُنَا كَدُخُوْلِهَا فِي (كَمْ) تَوْكِيْداً، وانْتَصَبَ الرَّجُلُ لأنَّهُ لَيْسَ مِنَ الْكَلامِ الأوَّلِ، وعَمِلَ فِيْهِ الْكَلامُ الأوَّلُ، فَصَارَتِ الْهَاءُ بِمَنْزِلَةِ التَّنْوِيْنِ، ومَعَ هَذَا أيْضاً أنَّكَ إذَا قُلْتَ: وَيْحَهُ، فَقَدْ تَعَجَّبْتَ وأبْهَمْتَ مِنْ أيِّ أُمُوْرِ الرَّجُلِ تَعَجَّبْتَ، وأيُّ الأنْوَاعِ تَعَجَّبْتَ مِنْهُ، فَإذَا قُلْتَ: فَارِساً وحَافِظاً، فَقَدِ اخْتَصَصْتَ ولَمْ تُبْهِمْ، وبَيَّنْتَ فِي أيِّ نَوْعٍ هُوَ.))[٨٦]

اخْتَلَفَ النُّحَاةُ فِي هَذَا الْمَنْصُوْبِ الدَّالِّ عَلَى التَّعَجُّبِ كَمَا فِي نَحْوِ (للهِ دَرُّه فَارِساً) و (مَا أَحْسَنَ زَيْداً مُتَحَدِّثاً) و (وَيْحَ زَيْدٍ رَجُلاً)، فَأكْثَرُهُمْ عَلَى أنَّهُ تَمْيِيْزٌ[٨٧]، لِمَا فِيْهِ مِنْ إبْهَامٍ ثُمَّ تَبْيِيْنٍ، لأنَّهُ لَمَّا قُلْتَ (للهِ دَرُّهُ) أوْ (مَا أَحْسَنَهُ) أوْ (وَيْحَهُ)، فَقَدْ تَعَجَّبْتَ مِنْهُ، ولَكِنَّكَ أبْهَمْتَ فَلَمْ تُبَيِّنْ مِنْ أيِّ أُمُوْرِهِ تَعَجَّبْتَ، فَإذَا قُلْتَ: فَارِساً أوْ مُتَحَدِّثاً أوْ رَجُلاً، دَلَلْتَ عَلَى أنَّكَ مُتَعَجِّبٌ مِنْهُ فِي فُرُوْسِيَّتِهِ أوْ تَحَدُّثِهِ أوْ رُجُوْلِيَّتِهِ دُوْنَ تَقْيِيْدِ التَّعَجُّبِ بِوَقْتِ فُرُوْسِيَّتِهِ أوْ تَحَدُّثِهِ أوْ رُجُوْلِيَّتِهِ، فَقَدْ أطْلَقْتَ التَّعَجُّبَ مِنْهُ، والآخَرُوْنَ عَلَى أنَّهُ حَالٌ، والْمَعْنَى:مَا أعْجَبَهُ فِي حَالِ كَوْنِهِ فَارِساً أوْ مُتَحَدِّثاً أوْ قَائِماً بِمَا يُثْبِتُ رُجُوْلِيَّتَهُ، ورَجَّحَ ابْنُ الْحَاجِبِ كَوْنَهُ تَمْيِيْزاً، قَالَ: لأنّ مَدْحَهُ مُطْلَقاً بالفُرُوْسِيَّةِ أوِ التَّحَدُّثِ أوِ الرُّجُوْلِيَّةِ، فَإذَا جُعِلَ حَالاً فَقَدِ اخْتَصَّ الْمَدْحُ وتَقَيَّدَ بِحَالِ فُرُوْسِيَّتِهِ وتَحَدُّثِهِ ورُجُوْلِيَّتِهِ،، وقَالَ الرَّضِيُّ: ((وأنَا لا أرَى بَيْنَهُمَا فَرْقاً، لأنَّ مَعْنَى التَّمْيِيْزِ: مَا أحْسَنَ فُرُوْسِيَّتَهُ، فَلا يَمْدَحُهُ فِي غَيْرِ حَالِ الفُرُوْسِيَّةِ إلاّ بِهَا، وهَذَا الْمَعْنَى هُوَ الْمُسْتَفَادُ مِنْ (مَا أَحْسَنَهُ فِي حَالِ فُرُوْسِيَّتِهِ)، وتَصْرِيْحُهُمْ بـ (مِنْ) فِي (للهِ دَرُّكَ مِنْ فَارِسٍ) دَلِيْلٌ عَلَى أنَّهُ تَمْيِيْزٌ.))[٨٨]

فَقَدْ رَجَّحَ ابْنُ الْحَاجِبِ التَّمْيِيْزَ لأنَّ جَعْلَهُ حَالاً يُقَيِّدُ الْمَدْحَ ويَخْتَصُّهُ بِحَالِ الْفُرُوْسِيَّةِ والتَّحَدُّثِ والرُّجُوْلِيَّةِ، عَلَى حِيْنِ أنَّ جَعْلَهُ تَمْيِيْزاً يُطْلِقُ التَّعَجُّبَ والْمَدْحَ بالْفُرُوْسِيَّةِ والتَّحَدُّثِ والرُّجُوْلِيَّةِ، وأمَّا الرَّضِيُّ فَلا يَرَى بَيْنَهُمَا فَرْقاً لأنّ الْمَعْنَى عِنْدَه أنَّهُ مُتَعَجِّبٌ مِنْ فُرُوْسِيَّتِهِ وتَحَدُّثِهِ سَوَاءٌ أكَانَ مُتَلَبِّساً بالْفُرُوْسِيَّةِ والتَّحَدُّثِ أمْ لَمْ يَكُنْ مُتَلَبِّساً. وعِنْدِي هَذَا غَيْرُ صَحِيْحٍ، لأنّ الْكَلامَ

يَحْتَمِلُ مَعْنَيَيْنِ، مَعْنَى الْحَالِ، ومَعْنَى التَّمْيِيْزِ، ومَعْنَى الْحَالِ: أَنَّنَا نَمْدَحُهُ ونَتَعَجَّبُ مِنْهُ حَالَ كَوْنِهِ فَارِساً ومُتَحَدِّثاً، ومَعْنَى التَّعَجُّبِ: أَنَّنَا نَمْدَحُهُ ونَتَعَجّبُ مِنْهُ مُطْلَقاً، لأَنَّنَا نَمْدَحُ ونَتَعَجَّبُ مِنْ حَالٍ دُوْنَ حَالٍ، نَقُوْلُ: (مَا أَحْسَنَ زَيْداً فَارِساً ومَا أَقْبَحَهُ رَاجِلاً) و (مَا أَحْسَنَ زَيْداً شَاعِراً ومَا أَقْبَحَهُ مُتَحَدِّثاً)، فَالْحَالُ هَهُنَا لازِمَةٌ غَيْرُ مُتَنَقِّلَةٍ كَمَا فِي نَحْوِ (دَعَوْتُ اللهَ سَمِيْعاً) و (خَلَقَ اللهُ الزُّرَافَةَ يَدَيْهَا أَطْوَلَ مِنْ رِجْلَيْهَا)، وأَمَّا اسْتِدْلالُ الرَّضِيِّ عَلَى كَوْنِهِ تَمْيِيْزاً بِصِحَّةِ دُخُوْلِ (مِنْ) عَلَيْهِ فَبَاطِلٌ، لأَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْكَلامُ مُحْتَمِلاً لِلْمَعْنَيَيْنِ أَدْخَلُوْا (مِنْ) لِيُرِيْدُوْا بِهِ التَّمْيِيْزَ لا غَيْرُ، فـ (فَارِساً) مِنْ قَوْلِنَا (للهِ دَرُّكَ فَارِساً) يَحْتَمِلُ أَنْ يَكُوْنَ حَالاً وأَنْ يَكُوْنَ تَمْيِيْزاً، فَإِذَا قُلْنَا (للهِ دَرُّكَ مِنْ فَارِسٍ) لَمْ يَكُنْ إلاّ تَمْيِيْزاً، ويُؤَيِّدُ مَا ذَهَبْنَا إِلَيْهِ قَوْلُ ابْنِ السَّرَّاجِ: ((فأمّا قَوْلُهُمْ (حَسْبُكَ بِزَيْدٍ رَجُلاً) و (أَكْرِمْ بِهِ فَارِساً) ومَا أَشْبَهَ ذَلِكَ، ثُمَّ تَقُوْلُ (حَسْبُكَ بِهِ مِنْ رَجُلٍ) و (أَكْرِمْ بِهِ مِنْ فَارِسٍ) و (للهِ دَرُّهُ مِنْ شَاعِرٍ)... فَالْفَصْلُ بَيْنَهُمَا أَنّ الأَوّلَ [يُرِيْدُ الْمَنْصُوْبَ] كَانَ يَلْتَبِسُ فِيْهِ التَّمْيِيْزُ بِالْحَالِ، فَأَدْخَلْتَ (مِنْ) لِتُخْلِصَهُ لِلتَّمْيِيْزِ... فَدُخُوْلُ (مِنْ) قَدْ أَزَالَ الشَّكَّ.))[٨٩] ، ويَقُوْلُ ابْنُ يَعِيْشَ فِي جَوَازِ دُخُوْلِ (مِنْ) هَهُنَا وامْتِنَاعِهِ فِي نَحْوِ (هُوَ أَفْرَهُ مِنْكَ مِنْ عَبْدٍ) و (عِنْدِي عِشْرُوْنَ مِنْ عَبْدٍ) لأَنَّ ((هَذَا الْمَوْضِعَ رُبَّمَا الْتَبَسَ فِيْهِ التَّمْيِيْزُ بِالْحَالِ، فَأَتَوْا بِـ (مِنْ) لِتُخْلِصَهُ لِلتَّمْيِيْزِ، أَلا تَرَى أَنَّكَ إِذَا قُلْتَ (وَيْحَهُ رَجُلاً) و (للهِ دَرُّهُ فَارِساً) و (حَسْبُكَ بِهِ نَاصِراً) جَازَ أَنْ تَعْنِيَ فِي هَذِهِ الْحَالِ، فَلَمَّا كَانَ قَدْ يَقَعُ فِيْهِ لَبْسٌ مُشْتَبِهِيْنَ فُصِلَ بَيْنَهُمَا بِدُخُوْلِ (مِنْ).))[٩٠]

وكَمَا اخْتَلَفُوْا فِي الْمَنْصُوْبِ الدَّالِّ عَلَى التَّعَجُّبِ كَذَلِكَ اخْتَلَفُوْا فِي الْمَنْصُوْبِ فِي بَابِ الْمَدْحِ والذَّمِّ فِي نَحْوِ (نِعْمَ فَارِساً زَيْدٌ) و (بِئْسَ رَاكِباً عَمْرٌو) و (حَبَّذَا فَارِساً زَيْدٌ) و (لا حَبَّذَا رَاكِباً عَمْرٌو)، فَأَكْثَرُ النُّحَاةِ عَلَى أَنّ الْمَنْصُوْبَ بَعْدَ (نِعْمَ و بِئْسَ) تَمْيِيْزٌ[٩١]، لأَنّ فِي فِعْلِ الْمَدْحِ والذَّمِّ فَاعِلاً أُضْمِرَ قَبْلَ أَنْ يَتَقَدَّمَهُ ظَاهِرٌ فَلَزِمَ تَفْسِيْرُهُ بِالنَّكِرَةِ لِيَكُوْنَ هَذَا التَّفْسِيْرُ فِي تَبْيِيْنِهِ بِمَنْزِلَةِ تَقَدُّمِ الذِّكْرِ لَهُ، والأَصْلُ فِي كُلِّ مُضْمَرٍ أَنْ يَكُوْنَ بَعْدَ الذِّكْرِ، والْمُضْمَرُ هَهُنَا (الْفَارِسُ) فِي (نِعْمَ فَارِساً) و (الرَّاكِبُ) فِي (بِئْسَ رَاكِباً) فَاسْتُغْنِيَ عَنْهُ بِالنَّكِرَةِ الْمَنْصُوْبَةِ الَّتِي فَسَّرَتْهُ، لأَنَّ كُلَّ مُبْهَمٍ مِنَ الأَعْدَادِ إِنَّمَا يُفَسَّرُ بِالنَّكِرَةِ الْمَنْصُوْبَةِ، وتُنْصَبُ النَّكِرَةُ هَهُنَا عَلَى التَّمْيِيْزِ[٩٢]، وقِيْلَ: لا ضَمِيْرَ فِي (نِعْمَ و بِئْسَ) وإِنَّمَا الْفَاعِلُ هُوَ الْمَخْصُوْصُ الْمَرْفُوْعُ، والأَصْلُ: نِعْمَ الْفَارِسُ زَيْدٌ، وبِئْسَ الرَّاكِبُ عَمْرٌو، فحُوِّلَ إِسْنَادُ (نِعْمَ) و (بِئْسَ) عَنِ الْفَارِسِ والرَّاكِبِ إِلَى (زَيْدٌ) و (عَمْرٌو) فَنُصِبَ الْفَارِسُ والرَّاكِبُ عَلَى التَّمْيِيْزِ بَعْدَ تَنْكِيْرِهِمَا[٩٣]، وقِيْلَ: إِنَّهُ حَالٌ[٩٤]، ويَصِيْرُ الْمَعْنَى عَلَى مَا ذَهَبُوْا: أَمْدَحُ زَيْداً حَالَ كَوْنِهِ فَارِساً، وأَذُمُّ عَمْراً حَالَ كَوْنِهِ رَاكِباً. وأَمَّا الْمَنْصُوْبُ بَعْدَ (حَبَّذَا) فَأَكْثَرُهُمْ أَيْضاً عَلَى أَنَّهُ تَمْيِيْزٌ، وقِيْلَ: إِنْ كَانَ جَامِداً فَهُوَ تَمْيِيْزٌ، وإِنْ كَانَ مُشْتَقّاً جَازَ أَنْ يَكُوْنَ حَالاً.[٩٥]

وعِنْدِي أَنَّ الْمَنْصُوْبَ فِي ذَا الْبَابِ لا يُنَصُّ عَلَى أَنَّهُ تَمْيِيْزٌ لَيْسَ غَيْرُ، ولا أَنَّهُ حَالٌ لَيْسَ غَيْرُ،وإِنَّمَا بِحَسَبِ الْمَعْنَى،فـ (فَارِساً) فِي (حَبَّذَا فَارِساً زَيْدٌ) يَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ تَمْيِيْزاً عَلَى مَعْنَى:

حَبَّذَا زَيْدٌ إِنَّـهُ فَـارِسٌ جَيِّدٌ، كَمَـا تَقُـوْلُ (للهِ دَرُّ زَيْدٍ فَارِسـاً) و (للهِ دَرُّهُ رَجُـلاً) و (وَيْحَـهُ رَجُـلاً)، ويَجُوْزُ أَنْ يَكُوْنَ حَالاً عَلَى مَعْنَى: حَبَّذَا زَيْدٌ حَالَ كَوْنِهِ فَارِسَاً، وأَمَّا فِي (نِعْمَ فَارِسَاً زَيْدٌ) فَيَكُوْنُ الْمَعْنَى عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يَجْعَلُ الْمَخْصُوْصَ فَاعِلاً: نِعْمَ زَيْدٌ إِنَّهُ فَارِسٌ جَيِّدٌ، ونِعْمَ زَيْدٌ حَالَ كَوْنِـهِ فَارِسَاً، والْحَالُ هَهُنَا لازِمَةٌ غَيْرُ مُتَنَقِّلَةٍ – كَمَا قُلْنَا –، وأَمَّا عَلَى مَذْهَبِ مَنْ يُضْمِرُ فَاعِلَ (نِعْمَ) فَيَكُوْنُ الْمَعْنَى: نِعْمَ الْفَارِسُ حَالَ كَوْنِـهِ فَارِسَاً زَيْدٌ، والْحَالُ هَهُنَـا مُتَنَقِّلَـةٌ غَيْرُ لازِمَـةٍ لِتَقْيِيْدِهَا بالْحَدَثِ، واللهُ أَعْلَمُ.

وأَمَّا تَقْسِيمُهُمُ الْمَنْصُوْبَ إِلَى مُشْتَقٍّ وجَامِدٍ فَفَاسِدٌ، لأَنَّهُ مَبْنِيٌّ عَلَى اشْتِرَاطِ جُمْهُوْرِهِمْ فِي الْحَالِ أَنْ تَكُوْنَ وَصْفَاً لا اسْمَاً جَامِدَاً قِيَاسَاً عَلَى الصِّفَةِ، فَكَمَا اشْتَرَطُوْا اشْتِقَاقَ الصِّفَةِ كَذَلِكَ اشْتَرَطُوْا اشْتِقَاقَ الْحَالِ[٩٦]، فَخَالَفَهُمُ السُّهَيْلِيُّ وابْنُ الْحَاجِبِ والرَّضِيُّ، قَالَ السُّهَيْلِيُّ – ونِعْمَ مَا قَالَ –: ((إِنَّ الاشْتِقَاقَ لا يَلْزَمُ فِي الْحَالِ، وإِنَّمَا يَلْزَمُ فِيْهَا أَنْ تَكُوْنَ صِفَةً مُتَحَوِّلَـةً، لأَنّ الْحَالَ مُشْتَقَّةٌ مِنَ التَّحَوُّلِ، فَإِذَا كَانَ صَاحِبُ الْحَالِ قَدْ أَوْقَعَ الْفِعْلَ فِي صِفَةٍ غَيْرِ لازِمَةٍ لِلْفِعْلِ فَلا يُقَالُ أَكَانَتْ مُشْتَقَّةً أَوْ غَيْرَ مُشْتَقَّةٍ، فَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيْثِ (يَتَمَثَّلُ لِي المَلَكُ رَجُلاً)، فـ (رَجُلاً) حَالٌ، لأَنَّ صُوْرَةَ الرِّجَالِ طَارِئَةٌ عَلَى الْمَلَكِ فِي حَالَـةِ التَّمَثُّلِ، ولَيْسَتْ لازِمَـةً لِلْمَلَكِ إِلاّ فِي وَقْتِ وُقُوْعِ الْفِعْلِ مِنْهُ، وَهُوَ التَّمَثُّلُ، فَهِيَ إِذَاً حَالٌ لأَنَّهُ قَدْ تَحَوَّلَ إِلَيْهَا، ومِثْلُـهُ (يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً)[٩٧] ، ومِثْلُـهُ قَوْلُكَ (مَرَرْتُ بِهَذَا الْعُوْدِ شَجَراً ثُـمَّ مَرَرْتُ بِـهِ رَمَـادَاً)، فَهَذِهِ كُلُّهَا أَحْوَالٌ وإِنْ كَانَتْ جَامِدَةً لأَنَّهَا صِفَاتٌ يَتَحَوَّلُ الْفَاعِلُ إِلَيْهَا.))[٩٨] وأَمَّا قِيَاسُهُمُ الْحَالَ عَلَى الصِّفَةِ فَإِنَّمَا لِكَوْنِ الْحَالِ – كَمَا قَالُوْا – بِمَعْنَى الصِّفَةِ، وهَذَا بَاطِلٌ، لأَنَّ الْحَالَ غَيْرُ الصِّفَةِ.[٩٩]

نَخْلُصُ مِمَّا مَرَّ إِلَى الْقَوْلِ إِنَّهُ لا يَجُوْزُ قِيَاسُ الْحَالِ عَلَى التَّمْيِيْزِ، ولا الْعَكْسُ، لِشَبَهٍ مَا بَيْنَهُمَا، لأَنَّهُ – كَمَا رَأَيْنَا – أَنْ لا شَبَهَ بَيْنَهُمَا، وعَلَى فَرْضِ التَّسْلِيْمِ بِصِحَّةِ مَا زَعَمُوْا فَإِنَّ مَا يُفَرِّقُهُمَا أَكْثَرُ مِمَّا يَجْمَعُهُمَا.

* * *

## الهوامش

(١) البحث منشور في مجلة كلية الاداب/ جامعة صنعاء، العدد ٢٦ لسنة ٢٠٠٣م .

(٢) انظر المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، العراق ١٩٨٢م ج٢/ ص٦٧٥ . ٦٧٦، وشرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري، تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ص٢٧٣.

(٣) النساء/ ١٤٢.

(٤) التوبة/ ٥٤.

(٥) الدخان/ ٣٨.

(٦) الأنبياء/١٦.

(٧) الإسراء/ ٣٧، ولقمان/ ١٨.

(٨) النساء/ ٤٣.

(٩) انظر البسيط في شرح جمل الزجاجي: ابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله القرشي الأشبيليّ السبتي، تحقيق: د. عيّاد بن عيد الشبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦/ ج١/ ص٥١٤، وذكر محقق كتاب البسيط في الهامش (٤) أنّ المعترض هو ابن خروف في شرحه لِجمل الزجاجي.

(١٠) انظر حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: الشيخ محمد الدمياطي الشافعي الشهير بالخضري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م. ج١/ص٢١٢ .

(١١) انظر الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي مصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م. ج٢/ ص١٢٢-١٢٣، وشرح الكتاب: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (مطبوع بهامش الكتاب)، ج٢/ ص١٢٢- ١٢٣، والمطالع السعيدة : جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. طاهر سليمان حمودة، نشر: الدار الجامعية الإسكندرية، مصر.ص٣٥٢ وفيه: وصحّحه ابن مالك.

(١٢) انظر مجيب الندى إلى شرح قطر الندى: أحمد بن الجمال عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.ج٢/ ص١٣٤، وحاشية يس على شرح الفاكهي لقطر الندى: يس بن زين الدين الحمصي الشافعي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٨٧١م. ج٢/ ص١٣٤.

(١٣) انظر البسيط في شرح جمل الزجاجي ج١/ ص٥١٥ . ٥١٦، وتوضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ابن أم قاسم المرادي، تحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة

الثانية، ج٢/ ص١٣١، وشرح المكوّدي على ألفية ابن مالك: أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكوّدي، تحقيق: الدكتورة فاطمة راشد الراجحي، جامعة الكويت ١٩٩٣م. ج١/ص ٣٦٠، وهمع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، عُني بتصحيحه السيد محمد بدر الدين النعساني، الطبعة الأولى، مصر ١٣٢٧هـ. ج١/ ص٢٣٦، وحاشية ابن حمدون على شرح المكودي لألفية ابن مالك: ابن حمدون، مكتبة ومطبعة سليمان مرعي، سنغافورا. ج١/ ص ١٦٦ . ١٦٧.

(١٤) حاشية يس على شرح الفاكهي لقطر الندى ج٢/ ص١٤٠، وانظر أيضاً حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: محمد علي الصبان، دار الفكر، بيروت.ج٢/ ص٢٠٩.

(١٥) شرح المفصل: موفق الدين بن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت. ج٢/ ص٦٢.

(١٦) شرح الكافية: رضي الدين محمد بن الحسن الإستراباذي النحوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ج١/ ص٢٠١، وبه قال الفاكهي، انظر مجيب الندى ص١٣٦.

(١٧) شرح ألفية ابن معطي: عبد العزيز بن جمعة بن زيد الموصلي، تحقيق: الدكتور علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م. ج١/ ص٥٥٥، [اعلم أنّ الصواب إسقاطُ الياء من(معطي)وتنوين ما قبلها، ويكون العنوان هكذا(شرح ألفية ابن معطٍ)بتنوين الكسر وإسقاط الياء، ويبدو أنه من خطأ النسّاخ واستمرّ عند المحقق فلم يفطن إليه.] وبه قال السيوطي، انظر همع الهوامع ج١/ ص٢٣٩.

(١٨) انظر توضيح المقاصد ج٢/ ص ١٣٥، وشرح التصريح على التوضيح: خالد الأزهري، دار الفكر، بيروت، ج١/ ص٣٧٣، وحاشية الخضري ج١/ ص ٢١٤، وبه أيضاً قال السيوطي، انظر المطالع السعيدة ص ٣٥٠.

(١٩) انظر أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م. ص٨٤.

(٢٠) انظر الكتاب ج١/ ص ٣٧٣- ٣٧٤، وهمع الهوامع ج١/ ص٢٣٩، والمطالع السعيدة ص٣٥٠.

(٢١) المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب ، بيروت . ج٤/ ص ٣٠٠.

(٢٢) شرح ألفية ابن معطي ج١/ ص ٥٥٣.

(٢٣) يريدُ: كأنّه ابتدأ فقال: معه بازٌ صائداً به.

(٢٤) الجملة الاسمية (معه صقرٌ) صفة لـ (رجل) و (صائداً به) إنْ حملتَهُ على (رجل) فهو صفة ثانية له، وإنْ حملتَهُ على الهاء في (معه) نصبتَهُ على الحال، وهذا معنى قوله (تجعله خبراً)، يعني حالاً. انظر شرح السيرافي ج٢/ ص ٤٩.

(٢٥) يعني أنه لم يرد أنْ يقول: هذا رجلٌ عاقلٌ حال كونه لبيباً.

(٢٦) الكتاب ج٢/ ص ٤٩ و ٥١.

(٢٧) الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، تحقيق: الدكتور عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م. ج٤/ ص٩٧.

(٢٨) إذا نُعت معمولان لعاملين مختلفين في العمل وجب القطع وامتنع الإتباع نحو (انطلق زيدٌ وكلّمتُ عمراً الظريفين أو الظريفان)، فالنصب على إضمار فعل، أي: أعني الظريفين، والرفع على إضمار مبتدأ، أي: هما الظريفان، ونحو (مررتُ بزيدٍ وجاوزتُ خالداً الظريفين أو الظريفان).

(٢٩) انظر شرح المفصل ج٢/ ص٥٧.

(٣٠) الأشباه والنظائر ج٤/ ص١٥١.

(٣١) انظر الكتاب ج١/ ص٣٩٦، والأشباه والنظائر ج٤/ ص١٤٩ . ١٥٠.

(٣٢) شرح المفصل ج٢/ ص٧٠.

(٣٣) انظر شرح الكافية ج١/ ص٢٢٣.

(٣٤) البقرة/ ١٣٠.

(٣٥) انظر شرح جمل الزجاجي:ابن عصفور الأشبيلي ج٢/ ص٢٨٢.

(٣٦) انظر همع الهوامع ج١/ ص٢٥٢.

(٣٧) انظر شرح ألفية ابن معطي ج١/ ص٥٨١.

(٣٨) انظر شرح عمدة الحافظ وعُدة اللافظ: جمال الدين محمد بن مالك، تحقيق: الدكتور عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م. ص٤٧٨.

(٣٩) وهذا قولٌ منهم عجيبٌ، فهم يجوّزون تعريفه، ويقولون بعد ذا: لا يكون المفسّر إلاّ نكرة.

(٤٠) انظر مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي، عُني بترتيبه: محمود خاطر بك، دار الفكر، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م. مادة (سفه).

(٤١) انظر حاشية يس على شرح الفاكهي لقطر الندى: ج٢/ ص١٣٩.

(٤٢) انظر شرح جمل الزجاجي ج٢/ ص٢٨١.

(٤٣) انظر البسيط في شرح جمل الزجاجي ج١/ ص ٥١٦، وقال ابن هشام أيضاً بزيادتها في (العراك) و (الأول فالأول) و (الجمّاء)، انظر: شرح شذور الذهب ص ٢٧٠، وبه قال المكودي، انظر شرح المكودي ج١/ ص ٣٦٤.

(٤٤) انظر الكتاب ج٢/ ص ١٣.

(٤٥) البسيط في شرح جمل الزجاجي ج١/ ص ٥١٧.

(٤٦) انظر شرح الأشموني لألفية ابن مالك: علي بن محمد الأشموني، دار الفكر، بيروت. ج٢/ ص ١٧٨.

(٤٧) الأشباه والنظائر ج٤/ ص ١٥٠.

(٤٨) المقتصد في شرح الإيضاح ج٢/ ص٦٧٦.

(٤٩) وزاد ياسين وجهاً سادساً فقال: (بقي أنهما يشتركان في أنهما يُحذفان.) حاشية يس على شرح الفاكهي لقطر الندى ج٢/ ص ٤٠.

(٥٠) القصص/٧٩.

(٥١) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاريّ، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، الطبعة الثانية ١٩٦٩م،ج٢/ ص٥١٣.

(٥٢) المقتصد في شرح الإيضاح ج٢/ ص٦٧٦.

(٥٣) الإسراء/٣٧ و لقمان/١٨.

(٥٤) النساء/٤٣.

(٥٥) مغني اللبيب ج٢/ ص٥١٣.

(٥٦) النمل/١٠ والقصص/٣١.
(٥٧) النمل/١٩.
(٥٨) البقرة/٦٠ والأعراف/٧٤ وهود/٨٥ وغيرها.
(٥٩) التوبة/٣٦.
(٦٠) مغني اللبيب ج٢/ ص٥١٣ – ٥١٦.
(٦١) انظر مجيب الندى إلى شرح قطر الندى ج٢/ ص١٤٦ . ١٤٧.
(٦٢) انظر المقتصد في شرح الإيضاح ج٢/ ص٦٩١.
(٦٣) انظر الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب ١٣٧١هـ/١٩٥٢م، و١٣٧٦ هـ/١٩٥٦م . ج٢/ص٣٨٤، والمقتصد في شرح الإيضاح. ج٢/ ص٦٩٥-٦٩٦.
(٦٤) انظر شرح المفصل ج٢/ ص٧٠، وشرح ألفية ابن معطي ج١/ ص٥٧٣.
(٦٥) انظر شرح المفصل ج٢/ ص٥٥، وانظر أيضاً المقتصد في شرح الإيضاح ج١/ ص٦٧١ – ٦٧٢.
(٦٦) الكتاب ج١/ ص٤٤.
(٦٧) شرح الكتاب للسيرافي ج١/ ص٤٤.
(٦٨) انظر الكتاب ج٢/ ١١٧ – ١١٨، وانظر أيضاً البسيط في شرح جمل الزجاجي ج٢/ ص٨٩٨ – ٨٩٩.
(٦٩) انظر حاشية يس على شرح الفاكهي لقطر الندى ج١/ص ٣٩٦.
(٧٠) انظر شرح السيرافي ج٢/ ص١١٧، هذا ما نسبه السيرافي إلى المبرد، وما في المقتضب مخالفٌ لما نُسِبَ إليه، فقد جاء فيه: (( فأمّا قولهم (هذا خاتمٌ حديداً) على الحال فتأويله أنك نبّهت له في هذه الحال، فإنْ قلتَ: الحالُ بابها الانتقال نحو (مررتُ بزيدٍ قائماً)، قيل: الحال على ضربين: فأحدهما التنقل، والآخرُ الحال اللازمة، وإنما هي مفعول، فاللزوم يقع لما في اسمها لا لما عمل فيها، فمن اللازم قوله عزّ وجلّ (فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها)، فالخلود معناه البقاء، وكذلك (وأما الذين سُعِدوا ففي الجنة خالدين فيها) فهذا للاسم لا لما عمل فيه.)) المقتضب ج٣/ ص٢٦٠.
(٧١) انظر حاشية يس على شرح التصريح على التوضيح: يس بن زين الدين العليمي الحمصي، دار الفكر، بيروت. ج١/ ص٣٩٦.
(٧٢) انظر البسيط في شرح جمل الزجاجي ج٢/ ص٨٩٩.
(٧٣) انظر الأُصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت،الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ج١/ ص٢٢٦.
(٧٤) شرح الكتاب للسيرافي ج٢/ ص١١٧.
(٧٥) الكتاب ج٢/ ص١٧٢.
(٧٦) انظر البسيط في شرح جمل الزجاجي ج/ ص٨٩٨ – ٨٩٩.
(٧٧) انظر حاشية يس على شرح التصريح ج١/ص٣٩٦.
(٧٨) انظر شرح التصريح على التوضيح ج١/ ص٣٩٦.
(٧٩) انظر حاشية يس على شرح التصريح ج١/ ص٣٩٦.
(٨٠) انظر شرح الكافية ج١/ ص٢٠٨.
(٨١) همع الهوامع ج١/ ص٢٥١ – ٢٥٢.
(٨٢) القمر/٢.
(٨٣) شرح الكافية ج١/ ص٢٢٠.

(٨٤) الويلُ:وادٍ في جهنّم، ويقال ذلك لمن وقع في مهلكة يستحقّها، ووَيْحَ: كلمةُ ترحُّمٍ تقال لمن وقع في مهلكة لا يستحقّها، وهما مصدران منصوبان على المفعولية المطلقة. انظر حاشية ابن حمدون ج١/ ص١٧٨.

(٨٥) شرح المكودي ج١/ص ٣٩١.

(٨٦) الكتاب ج٢/ ص١٧٤.

(٨٧) انظر الكتاب ج٢/ ص١٧٤، والمقتضب ج٣/ ص٣٥، وشرح السيرافي ج٢/ ص١٧٤.

(٨٨) شرح الكافية ج١/ ص٢٢٢.

(٨٩) الأصول ج١/ ص٢٢٦ – ٢٢٧.

(٩٠) شرح المفصل ج٢/ ص٧٣. وبنحوٍ من ذا قال السيوطي، انظر همع الهوامع ج١/ ص٢٥٢.

(٩١) انظر شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، منشورات المكتبة العصرية، صيدا، بيروت. ج٢/ ص١٦٢.

(٩٢) انظر شرح المفصل ج٧/ ص١٣١.

(٩٣) انظر حاشية الخضري ج٢/ ص٤٣.

(٩٤) انظر شرح ابن عقيل ج٢/ ص١٦٢.

(٩٥) انظر شرح الكافية ج٢/ ص٣١٩.

(٩٦) انظر حاشية يس على شرح التصريح على التوضيح ج١/ ص٣٦٩.

(٩٧) غافر/ ٦٧.

(٩٨) انظر نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م. ص٣٠٩ – ٣١٠.

(٩٩) لقد عرضنا لاشتقاق الحال ولِكونها بمعنى الصفة بالتفصيل في بحثنا الموسوم بـ (قالوا في الحال، دراسة نقدية).

## فهرس المصادر والمراجع


(١) الأشباه والنظائر في النحو: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبد العال سالم مكرم، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) الأصول في النحو: أبو بكر محمد بن سهل بن السراج النحوي البغدادي، تحقيق: الدكتور عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٣) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

(٤) البسيط في شرح جمل الزجاجي: ابن أبي الربيع عبيد الله بن أحمد بن عبيد الله الأشبيلي السبتي، تحقيق: د. عياد بن عيد الشبيتي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

(٥) توضيح المقاصد والمسالك بشرح ألفية ابن مالك: ابن أم قاسم المرادي، تحقيق: د. عبد الرحمن علي سليمان، مكتبة الكليات الأزهرية، الطبعة الثانية.

(٦) حاشية ابن حمدون على شرح المكوّدي لألفية ابن مالك: ابن حمدون، مكتبة ومطبعة سليمان مرعي، سنغافورا.

(٧) حاشية الخضري على شرح ابن عقيل: الشيخ محمد الدمياطي الشافعي الشهير بالخضري، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٥٩هـ/ ١٩٤٠م.

(٨) حاشية الصبان على شرح الأشموني لألفية ابن مالك: محمد علي الصبان، دار الفكر، بيروت.

(٩) حاشية يس على شرح التصريح على التوضيح: يس بن زين الدين العليمي الحمصي الشافعي، دار الفكر، بيروت.

(١٠) حاشية يس على شرح الفاكهي لقطر الندى: يس بن زين الدين العليمي الحمصي الشافعي،مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/١٩٧١م

(١١) الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني، دار الكتب.

(١٢) شرح ابن عقيل: بهاء الدين عبد الله بن عقيل العقيلي الهمداني المصري، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت.

(١٣) شرح الأشموني لألفية ابن مالك: علي بن محمد الأشموني، دار الفكر، بيروت.

(١٤) شرح ألفية ابن معطي: عبد العزيز بن جمعة بن زيد الموصلي، تحقيق: الدكتور علي موسى الشوملي، مكتبة الخريجي، الرياض، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(١٥) شرح التصريح على التوضيح: الشيخ خالد الأزهري، دار الفكر بيروت.

(١٦) شرح جمل الزجاجي: ابن عصفور الأشبيلي، تحقيق: د. صاحب أبو جناح.

(١٧) شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب: أبو محمد عبد الله جمال الدين بن هشام الأنصاري،تحقيق: حنا الفاخوري، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(١٨) شرح عمدة الحافظ وعدة اللافظ: جمل الدين محمد بن مالك، تحقيق: الدكتور عدنان عبد الرحمن الدوري، مطبعة العاني، بغداد ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

(١٩) شرح الكافية: رضي الدين محمد بن الحسن الاستراباذي النحوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢٠) شرح الكتاب: أبو سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي (مطبوع بهامش الكتاب)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢١) شرح المفصل: موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش النحوي، عالم الكتب، بيروت.

(٢٢) شرح المكودي على ألفية ابن مالك: أبو زيد عبد الرحمن بن علي بن صالح المكودي، تحقيق: الدكتورة فاطمة راشد الراجحي، جامعة الكويت ١٩٩٣م.

(٢٣) الكتاب: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، مصر، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

(٢٤) مجيب الندى إلى شرح قطر الندى: أحمد بن الجمال عبد الله بن أحمد بن علي الفاكهي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الثانية ١٣٩٠هـ/ ١٩٧١م.

(٢٥) مختار الصحاح: محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، عني بترتيبه: محمود خاطر بك، دار الفكر، بيروت ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.

(٢٦) المطالع السعيدة: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تحقيق: د. طاهر سليمان حمودة، نشر الدار الجامعية الإسكندرية، مصر.

(٢٧) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب: جمال الدين ابن هشام الأنصاري، تحقيق: الدكتور مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، الطبعة الثانية، ١٩٦٩م.

(٢٨) المقتصد في شرح الإيضاح: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: الدكتور كاظم بحر المرجان، وزارة الثقافة والإعلام، العراق ١٩٨٢م.

(٢٩) المقتضب: أبو العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.

(٣٠) نتائج الفكر في النحو: أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوّض، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

(٣١) همع الهوامع شرح جمع الجوامع في علم العربية: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، عُني بتصحيحه: السيد محمد بدر الدين النعساني، الطبعة الأولى، مصر ١٣٢٧هـ.